أحاديث في الدعوة والتوجيه ١٤

حديث

مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ

من الهدى والعلم

دراسة حديثية دعوية

إعداد

أ. د. فالح محمد بن فالح الصغير

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

حديث

مثل ما بعثني الله

من الهدى والعِلم

حديث «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم»
سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه
(14)

حديث

مَثَلُ مَا بَعَثَنـي الله
من الـهُدَى والعلم

دراسة حديثية دعوية

إعـــداد
أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغيِّر
أستاذ السنة وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار ابن الأثير
1427هـ

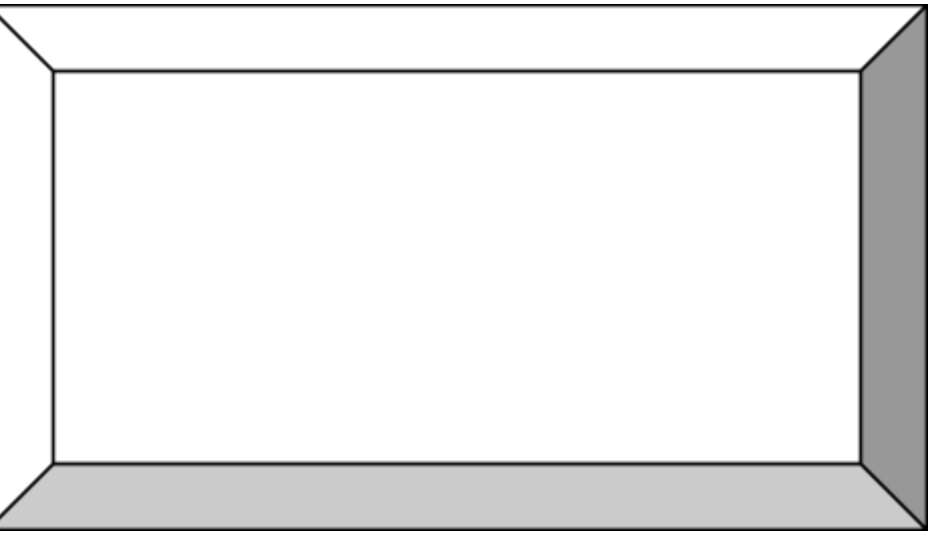

هههه

الـمقدمة

الحمد لله رب العالمين, الرحمن الرحيم, مالك يوم الدين, والصلاة والسلام على رسوله الأمين، المبعوث رحمةً للعالمين؛ أرسله الله شاهدًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا, بلّغ الرسالة, وأدّى الأمانة, ونصح الأمة, وتركها على البيضاء, ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك, وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين, وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الغر الميامين, والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد...**

فإن السنة النبوية كنز من الكنوز الثمينة، اهتم بها المحدثون وتعلّموها وعملوا بها وعلّموها، ونشروها للناس وقضوا جلّ حياتهم فيها، لما لها من مكانة مرموقة في الشريعة، كيف لا، وهي الأصل الثاني من أصول الشريعة, كما جاء في الحديث: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**»[1]. وهي تفسير وتوضيح للقرآن، تبين مشكله، وتفصل مجمله, وتوضح مبهمه, وتفتح مغلقه، وتسهل معضله، وهي أيضا وحي إلا أنه غير متلو, كما جاء في الحديث: فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ, أَلَا إِنِّي**

---

[1]() الموطأ للإمام مالك، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر (2/480)، ح(2618). وينظر ما كتبته عن هذا الحديث في الرسالة المستقلة.

أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ, لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِن حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ, وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِن حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ, أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ, وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِن السِّبَاعِ, أَلَا وَلَا لُقَطَةُ مِن مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا, وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ, فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ» [2].

فحري بنا أن نبذل الغالي والنفيس لأجلها، وننفق ما عندنا في سبيلها, ونقضي حياتنا في طلبها, ونعمل على مقتضاها، فلذا قمنا بدراسة بعض الأحاديث النبوية المشرقة؛ دراسة حديثية توجيهية ودعوية، ومنها هذا الحديث النبوي الرائع الذي يهتم بمبدأ عظيم من مبادئ الإسلام وهو **«العلم بالدين والدعوة إليه»**. ذلك المبدأ الذي جاء فضله في كتاب الله العزيز في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [سورة فصلت: 33].

وفيما يلي من الصفحات نعيش في رحاب هذا الحديث الشريف فهماً, ودراسةً, واستنباطاً للأحكام القيمة, والدروس النافعة بقدر المستطاع, ليكون دليلًا وهاديًا لكل مسلمٍ، وبالأخص لكل داعيةٍ يريد سلوك صراط الله تعالى على فهمٍ

---

[2]() سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ح: (4604), ومسند أحمد، مسند الشاميين، حديث المقدام بن معدي كرب، (4/130) واللفظ له.

وبصيرةٍ.

وتأتي هذه الأهمية العظيمة في مثل هذه الأوقات الحرجة التي تكالب أعداء الإسلام وتابعوهم من المنافقين والمستغربين من أبناء المسلمين على الاستهزاء بالدين وصاحب السنة نبي هذه الأمة محمد بن عبد الله - عليه أفضل الصلاة والتسليم ما تعاقب الليل والنهار-، وما نرى في هذه الأيام من هجمة شرسة عليه, واستهزاء وازدراء به, ما هو إلا حقد دفين في قلوبهم عن الدين وصاحبه. فوجب على كل فرد من أفراد الأمة مناصرته وحمايته من كل أذى يراد به، أو نقص ينسب إليه, والدفاع عنه بكل وسيلة ممكنة، وبكل أسلوب متاح له، قال تعالى: ﴿﴾ [سورة الفتح: 9] وبالأخص نشر سيرته الطيبة الطاهرة أمام العالم، والدعوة إلى دينه بطرق مفيدة, وبأساليب حكيمة, التي أشير إلى بعضها في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة النحل: 125], وهذا أقل القليل لما يقدم تجاهه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد توخيت في هذا البيان محاولة التوسط بين الإيجاز والإطناب, وقد جعلته على وقفات، مركزًا على دلالة الحديث

على العلم والدعوة، بشيء من البسط الذي يذكّر العالم، ويعلّم الجاهل، سائلًا المولى عز وجل أن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعل هذا العمل من المدخرات، وأن يعفو عن الزلل والتقصير. إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبـــــه

البريد الإلكتروني:.com talehmalsgair@yahoo

نص الحديث

قال الإمام البخاري ::

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ, عَن بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِالله, عَن أَبِي بُرْدَةَ, عَن أَبِي مُوسَى t, عَن النَّبِيِّ غ قَالَ:

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله مِن الهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَت المَاءَ فَأَنْبَتَت الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ, وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَت المَاءَ فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا, وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ, وَمَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

الوقفة الأولى :

تخريج الحديث

هذا الحديث:

رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلّم, ح: (79).

ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النبي غ من الهدى والعلم، ح: (2282).

وأحمد في مسنده: أول مسند الكوفيين، حديث أبي موسى الأشعري ا، (4/399).

وعند الثلاثة ليس هناك اختلاف جوهري في الألفاظ إلا في كلمات معدودة فقط, إلا أن البخاري عنده شرح لبعض الكلمات. كما ذكر أنه في رواية إسحاق: «**قيلت الماء**» بدل «**قبلت الماء**» وعلق ابن حجر عليه بقوله: وَهُوَ تَصْحِيف.

وعند مُسْلِم: «**طَائِفَة طَيِّبَة**» وعِنْد الْبُخَارِيّ « **نقِيَّة**»

وكذلك عند البخاري: «**فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا**»، وعند مسلم: «**فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا**».

* * *

الوقفة الثانية:

مع كلمات الحديث

«مَثَل»: بِفَتْحِ الْمُثَلَّثَة وَالْمُرَاد بِهِ الصِّفَة الْعَجِيبَة لَا الْقَوْل السَّائِر.

«الْهُدَى»: أَيْ: الدَّلَالَة المُوَصِّلَة إِلَى الْمَطْلُوب.

«الْعِلْم»: المُرَاد بِهِ مَعْرِفَة الْأَدِلَّة الشَّرْعِيَّة.

«الْغَيْث»: الْمَطَر.

«نَقِيَّة»: طَيِّبَة.

«قَبِلَتْ»: بِفَتْحِ الْقَاف وَكَسْر الْمُوَحَّدَة مِن الْقَبُول.

«الْكَلَأ»: بِالْهَمْزَةِ بِلَا مَدّ, يَقَعُ عَلَى الْيَابِس وَالرَّطْب, وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ وَابْن فَارِس: الْكَلَأ يَقَعُ عَلَى الْيَابِس, وَهَذَا شَاذٌّ ضَعِيفٌ.

«وَالْعُشْب»: هُوَ مِن ذِكْر الْخَاصّ بَعْد الْعَامّ ; لِأَنَّ الْكَلَأ يُطْلَق عَلَى النَّبْت الرَّطْب وَالْيَابِس مَعًا, وَالْعُشْب لِلرَّطْبِ فَقَطْ.

وقال النووي: وَأَمَّا **«الْعُشْب وَالْكَلَأ وَالْحَشِيش»:** فَكُلّهَا أَسْمَاء لِلنَّبَاتِ, لَكِنَّ الْحَشِيش مُخْتَصّ بِالْيَابِسِ, وَالْعُشْب وَالْكَلَأ ـ مَقْصُورًا ـ مُخْتَصَّانِ بِالرَّطْبِ.

«الْأَجَادِب»: بِالْجِيمِ وَالدَّال الْمُهْمَلَة، وَهِيَ الْأَرْض الَّتِي تُنْبِتُ كَلَأً. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: هِيَ الْأَرْض الَّتِي تُمْسِكُ الْمَاء, فَلَا يُسْرِعُ فِيهِ النُّضُوب.

«وَزَرَعُوا»: كَذَا لَهُ بِزِيَادَةِ زَاي مِن الزَّرْع, وَلِمُسْلِمٍ وَالنَّسَائِيِّ وَغَيْرهمَا عَن أَبِي كُرَيْب: **«وَرَعَوْا»** بِغَيْرِ زَاي مِنَ

الرَّعْي, قَالَ النَّوَوِيّ. كِلَاهُمَا صَحِيح.

«**وَسَقَوْا»:** قَالَ أَهْل اللُّغَة: سَقَى وَأَسْقَى بِمَعْنًى لُغَتَانِ, وَقِيلَ: سَقَاهُ نَاوَلَهُ لِيَشْرَب, وَأَسْقَاهُ جَعَلَ لَهُ سَقْيًا.

«**وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً»:** أَيْ: المَاء. وَلِلْأَصِيلِيِّ وَكَرِيمَة أَصَابَتْ أَيْ: طَائِفَة أُخْرَى. وَوَقَعَ كَذَلِكَ صَرِيحًا عِنْد النَّسَائِيِّ. وَالْمُرَاد بِالطَّائِفَةِ الْقِطْعَة.

«**قِيعَان»:** بِكَسْرِ الْقَاف جَمْع قَاع، وَهُوَ الْأَرْض المُسْتَوِيَة الْمَلْسَاء الَّتِي لَا تُنْبِت.

«فَقُهَ»: بِضَمِّ الْقَاف أَيْ صَارَ فَقِيهًا.

وقال النووي: وَأَمَّا الْفِقْهُ فِي اللُّغَة يُقَالُ مِنْهُ: فَقِهَ - بِكَسْرِ الْقَافِ يَفْقَهُ فقَهًا بِفَتْحِهَا كَفَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحًا, وَقِيلَ: الْمَصْدَرُ فِقْهًا بِإِسْكَانِ الْقَاف. وَأَمَّا الْفِقْهُ الشَّرْعِيُّ فَقَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ وَالْهَرَوِيّ وَغَيْرهمَا: يُقَال مِنْهُ فَقُهَ بِضَمِّ الْقَاف. وَقَالَ اِبْن دُرَيْد: بِكَسْرِهَا كَالْأَوَّلِ. وَالْمُرَاد بِقَوْلِهِ غ: «**فَقُّهَ فِي دِينِ الله»** هَذَا الثَّانِي فَيَكُونُ مَضْمُومَ الْقَاف عَلَى الْمَشْهُور, وَعَلَى قَوْل اِبْن دُرَيْد بِكَسْرِهَا, وَقَدْ رُوِيَ بِالْوَجْهَيْنِ, وَالْمَشْهُور الضَّمّ[3].

«والفقه»: الفهم، يقول ابن الأثير: «والفقه في الأصل: الفهم، واشتقاقه من الشق والفتح، يقال: فقِه الرجل- بالكسر- يفقه فِقهاً: إذا فهِم وعلِم، وفقُه - بالضم – يفقُه: إذا صار فقيهًا وعالماً، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، وتخصيصًا

[3]() ينظر: فتح الباري لابن حجر، 1/176-177, وشرح مسلم للنووي، (المجلد الخامس), 15/46-47.

بعلم الفروع منها [4].

فنقول: والمراد في الحديث: الفهم في دين الله، ولا ينصرف لفقه الحلال والحرام فقط، بل يتضمن فقه العقيدة، والأخلاق، والآداب، والتفسير، وغيرها.

* * *

[4]() النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، 3/465.

15
حديث «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم»
الوقفة الثالثة:

نظرة في عموم الحديث

إن الحديث الذي بين أيدينا بيّن فيه النبي غ أنه بعث بالعلم والهدى من عند الله تبارك وتعالى إلى الثقلين كافة من الجن والإنس, وشريعته عامة للجميع, كما أنها نعمة ورحمة للبشرية، ويعم نفعها لكل أصناف البشر, ولكن الناس في الاستفادة من علمه وهديه يتفاوتون، فقد ضرب لهذا بمثل رائع من نزول المطر على الأرض, ومن ثم الانتفاع به, وقد شرح النووي هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم فيقول: «أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيث وَمَقْصُوده فَهُوَ تَمْثِيل الْهُدَى الَّذِي جَاءَ بِهِ غ بِالْغَيْثِ, وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْض ثَلَاثَة أَنْوَاع, وَكَذَلِكَ النَّاس. فَالنَّوْع الْأَوَّل مِن الْأَرْض يَنْتَفِع بِالْمَطَرِ فَيَحْيَى بَعْد أَنْ كَانَ مَيِّتًا, وَيُنْبِتُ الْكَلَأ, فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاس وَالدَّوَابّ وَالزَّرْع وَغَيْرِهَا, وَكَذَا النَّوْع الْأَوَّل مِن النَّاس, يَبْلُغُهُ الْهُدَى وَالْعِلْم فَيَحْفَظُهُ فَيَحْيَا قَلْبه, وَيَعْمَلُ بِهِ, وَيُعَلِّمُهُ غَيْره, فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ. وَالنَّوْع الثَّانِي مِن الْأَرْض مَا لَا تَقْبَلُ الِانْتِفَاع فِي نَفْسهَا, لَكِنْ فِيهَا فَائِدَة, وَهِيَ إِمْسَاك الْمَاء لِغَيْرِهَا, فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاس وَالدَّوَابّ, وَكَذَا النَّوْع الثَّانِي مِن النَّاس, لَهُمْ قُلُوب حَافِظَة, لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَام ثَاقِبَة, وَلَا رُسُوخ لَهُمْ فِي الْعَقْل يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِي وَالْأَحْكَام, وَلَيْسَ عِنْدهمْ اِجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَة وَالْعَمَل بِهِ, فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى يَأْتِيَ طَالِبٌ مُحْتَاجٌ مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدهمْ مِن الْعِلْم, أَهْل لِلنَّفْعِ وَالِانْتِفَاع, فَيَأْخُذهُ

مِنْهُمْ, فَيَنْتَفِع بِهِ, فَهَؤُلَاءِ نَفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ. وَالنَّوْع الثَّالِث مِن الْأَرْض السِّبَاخ الَّتِي لَا تُنْبِتُ وَنَحْوهَا, فَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ, وَلَا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرهَا, وَكَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ مِن النَّاس, لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوب حَافِظَة, وَلَا أَفْهَام وَاعِيَة, فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْم لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ, وَلَا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرهمْ. وَالله أَعْلَم[5].

وقال ابن حجر:

قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَغَيْره: ضَرَبَ النَّبِيّ غ لِمَا جَاءَ بِهِ مِن الدِّين مَثَلًا بِالْغَيْثِ الْعَامّ الَّذِي يَأْتِي فِي حَال حَاجَتهمْ إِلَيْهِ, وَكَذَا كَانَ النَّاس قَبْل مَبْعَثه, فَكَمَا أَنَّ الْغَيْث يُحْيِي الْبَلَد الْمَيِّت فَكَذَا عُلُوم الدِّين تُحْيِي الْقَلْب الْمَيِّت. ثُمَّ شَبَّهَ السَّامِعِينَ لَهُ بِالْأَرْضِ الْمُخْتَلِفَة الَّتِي يَنْزِل بِهَا الْغَيْث, فَمِنْهُم الْعَالِم الْعَامِل الْمُعَلِّم. فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض الطَّيِّبَة شَرِبَتْ فَانْتَفَعَتْ فِي نَفْسهَا وَأَنْبَتَتْ فَنَفَعَتْ غَيْرهَا. وَمِنْهُم الْجَامِع لِلْعِلْمِ الْمُسْتَغْرِق لِزَمَانِهِ فِيهِ غَيْر أَنَّهُ لَمْ يَعْمَل بِنَوَافِلِهِ أَوْ لَمْ يَتَفَقَّه فِيمَا جَمَعَ لَكِنَّهُ أَدَّاهُ لِغَيْرِهِ, فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض الَّتِي يَسْتَقِرّ فِيهَا الْمَاء فَيَنْتَفِع النَّاس بِهِ, وَهُوَ الْمُشَار إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: **«نَضَّرَ الله إِمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا »**[6]. وَمِنْهُمْ مَن يَسْمَع الْعِلْم فَلَا يَحْفَظهُ وَلَا يَعْمَل بِهِ

---

[5]() ينظر: شرح مسلم للنووي، (المجلد الخامس), 15/47-48.

[6]() أخرجه أبوداود في العلم برقم (3660)، باب فضل نشر العلم، والترمذي في العلم، برقم (2656، 2657، 2658)، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وابن ماجه في المقدمة برقم (230، 231، 232، 236)، باب من بلّغ علمًا، وفي المناسك، باب الخطبة يوم النحر برقم (3056)، وأحمد عن ابن مسعود برقم (4146)، وأنس بن مالك برقم (12937)، وجبير بن مطعم برقم (14294، 14312)، وزيد بن ثابت برقم (21080).

وَلَا يَنْقُلهُ لِغَيْرِهِ, فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض السَّبْخَة أَوْ الْمَلْسَاء الَّتِي لَا تَقْبَل الْمَاء أَوْ تُفْسِدهُ عَلَى غَيْرهَا. وَإِنَّمَا جَمَعَ الْمَثَل بَيْن الطَّائِفَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ الْمَحْمُودَتَيْنِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الِانْتِفَاع بِهِمَا, وَأَفْرَدَ الطَّائِفَة الثَّالِثَة الْمَذْمُومَة لِعَدَمِ النَّفْع بِهَا. وَالله أَعْلَم.

وَقَالَ الطِّيبِيّ: بَقِيَ مِن أَقْسَام النَّاس قِسْمَانِ: أَحَدهمَا الَّذِي اِنْتَفَعَ بِالْعِلْمِ فِي نَفْسه وَلَمْ يُعَلِّمهُ غَيْره, وَالثَّانِي مَن لَمْ يَنْتَفِع بِهِ فِي نَفْسه وَعَلَّمَهُ غَيْره. قُلْت: وَالْأَوَّل دَاخِل فِي الْأَوَّل لِأَنَّ النَّفْع حَصَلَ فِي الْجُمْلَة وَإِنْ تَفَاوَتَتْ مَرَاتِبه, وَكَذَلِكَ مَا تُنْبِتهُ الْأَرْض, فَمِنْهُ مَا يَنْتَفِع النَّاس بِهِ وَمِنْهُ مَا يَصِير هَشِيمًا. وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنْ كَانَ عَمِلَ الْفَرَائِض وَأَهْمَلَ النَّوَافِل فَقَدْ دَخَلَ فِي الثَّانِي كَمَا قَرَّرْنَاهُ, وَإِنْ تَرَكَ الْفَرَائِض أَيْضًا فَهُوَ فَاسِق لَا يَجُوز الْأَخْذ عَنْهُ, وَلَعَلَّهُ يَدْخُل فِي عُمُوم: «مَنْ لَمْ يَرْفَع بِذَلِكَ رَأْسًا » وَالله أَعْلَم[7].

فلا بد للاهتداء من محل قابل، فإذا لم تكن في المحل صلاحية لا يستفيد الإنسان من آيات الكتاب والسنة, ولذا قيد الله تعالى في القرآن لهدايته بقيود وقد أشار إلى بعضها الشيخ السعدي : فيقول: «وقيد هدايته في بعض الآيات بعدة قيود: قيد هدايته بأنه هدى للمؤمنين, المتقين, لقوم يعقلون, ويتفكرون, ولمن قصده الحق، وهذا بيان منه تعالى لشرط هدايته، وهو أن المحل لا بد أن يكون قابلاً وعاملاً، فلا بد لهدايته من عقل وتفكير وتدبر لآياته، فالمعرض الذي لا يتفكر ولا يتدبّر آياته لا ينتفع به, ومن ليس قصده الحق ولا

[7]() ينظر: فتح الباري لابن حجر، 1/177.

غرض له في الرشاد, بل قصده فاسد، وقد وطّن نفسه على مقاومته ومعارضته، ليس له من هدايته نصيب, فالأول حرم هدايته لفقد الشرط, والثاني لوجود المانع, فأما من أقبل عليه وتفكر في معانيه وتدبرها بحسن فهم وحسن قصد، وسلم من الهوى, فإنه يهتدي به إلى كل مطلوب, وينال به كل غاية جليلة ومرغوب»([8]).

وهكذا سنّة النبي غ يستفيد منها من كان فيه خيرٍ, فقد بينه بأسلوب شيق وبكلام جذاب, فحري بالمعلم عامةً وبطالب العلم خاصةً أن يطلب العلم, ويتفقه فيه, ويعمل به, ويعلمه غيره([9]).

* * *

[8]() كتاب: فوائد قرآنية للسعدي، ص: 8.

[9]() سيأتي إن شاء الله مزيد شرحٍ وبسطٍ لهذه النقطة في الوقفة الخامسة.

الوقفة الرابعة:

ضرب الأمثلة: أثرها واستعمالها في القرآن والسنة

إن الأمثال لها تأثير بالغ على الإنسان؛ لذا نرى في الكتاب والسنة كثيرا ما يستشهد بها, ويستفاد منها في أمور كثيرة: في التذكير، والنصح, والوعظ, والحث, والترغيب, والترهيب، والتعليم، والتربية، والزجر, والاعتبار, والتقرير, وتقريب المراد للعقل, وتصويره بصورة المحسوس, فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس, ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي, والغائب بالشاهد. يقول الله تعالى: (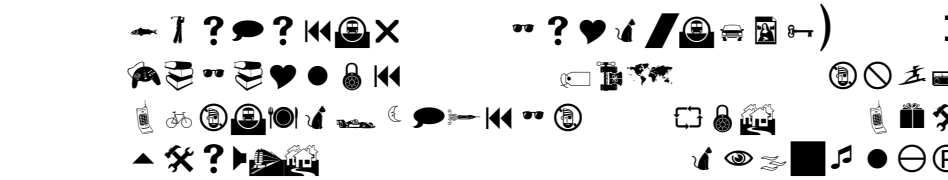) [سورة الزمر: 27].

وقال أيضاً: (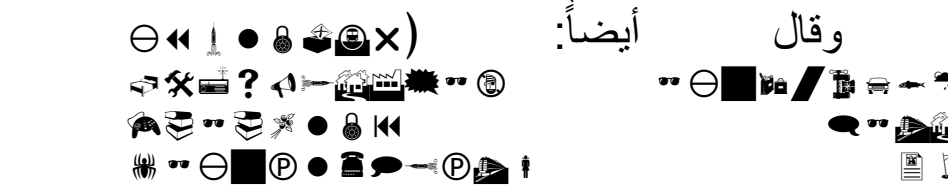) [العنكبوت: 43].

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: أي: «لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم لكونها من الطرق الموضحة للعلوم, ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة, فيتضح

المعنى المطلوب بسببها, فهي مصلحة لعموم الناس[10].

وقد كتب العلماء في تصانيفهم كثيرًا عن تأثير هذا النوع من الأسلوب, فيقول الزمخشري: «التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهم من الشاهد, فإن كان المتمثل له عظيمًا كان المتمثل به مثله, وإن كان حقيرًا كان المتمثل به كذلك»[11].

وقال الأصبهاني: «لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفي, في إبراز خفيات الدقائق, ورفع الأستار عن الحقائق, تريك المتخيل في صورة المتحقق, والغائب كأنه مشاهد, وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة, وقمع لسورة الجامح الأبي, فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر في وصف الشيء في نفسه»[12].

وقد أكثر الله تعالى في كتابه الأمثال. مثل قوله تعالى: (

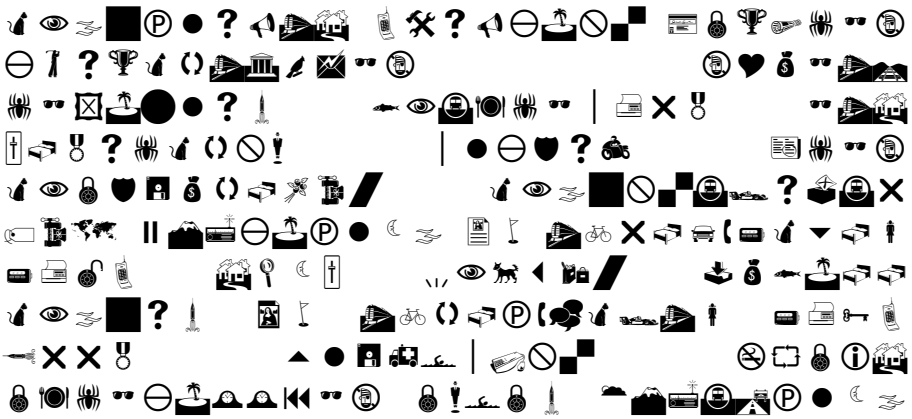

[10]() كتاب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, للشيخ السعدي, ص: 631.
[11]() ينظر في كتاب: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: 4/39.
[12]() المرجع السابق.

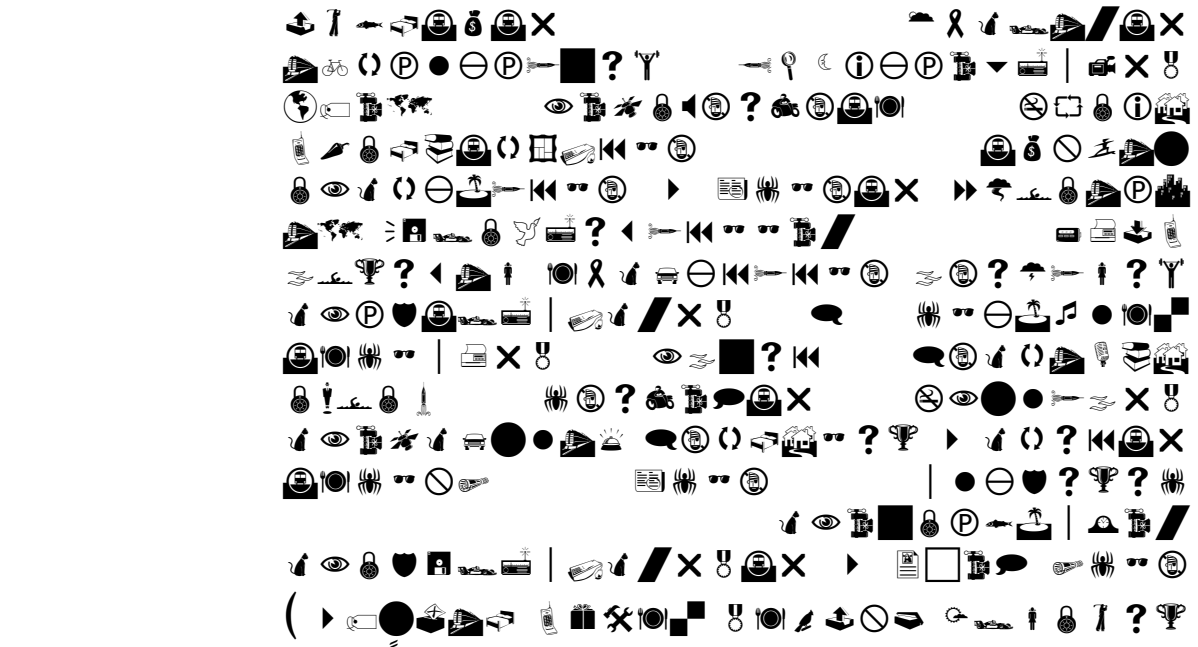

[سورة البقرة: 17-20]. ضرب الله فيها مثلين للمنافقين: مثلاً بالنار, ومثلاً بالمطر.

يقول الطبري: مثل استضاءة هؤلاء المنافقين في إظهارهم لرسول الله غ وللمؤمنين بألسنتهم من قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر, وصدقنا بمحمد وبما جاء به, وهم للكفر مستبطنون فيما الله فاعل بهم مثل استضاءة موقدٍ نارًا بناره, حتى أضاءت له النار ما حوله, يعنى ما حول المستوقد(13).

وقال أيضا: وتأويل ذلك: مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام مع استسرارهم الكفر, مثل استضاءة موقد نارٍ بضوء ناره, على ما وصف جل ثناؤه من صفته, أو كمثل مطر مظلم ودقه تحدر من السماء, تحمله مزنة ظلماء

13() كتاب: تفسير الطبري: 1/335.

في ليلة مظلمة, وذلك هو الظلمات التي أخبر الله جل ثناؤه أنها فيه[14].

وقوله تعالى: (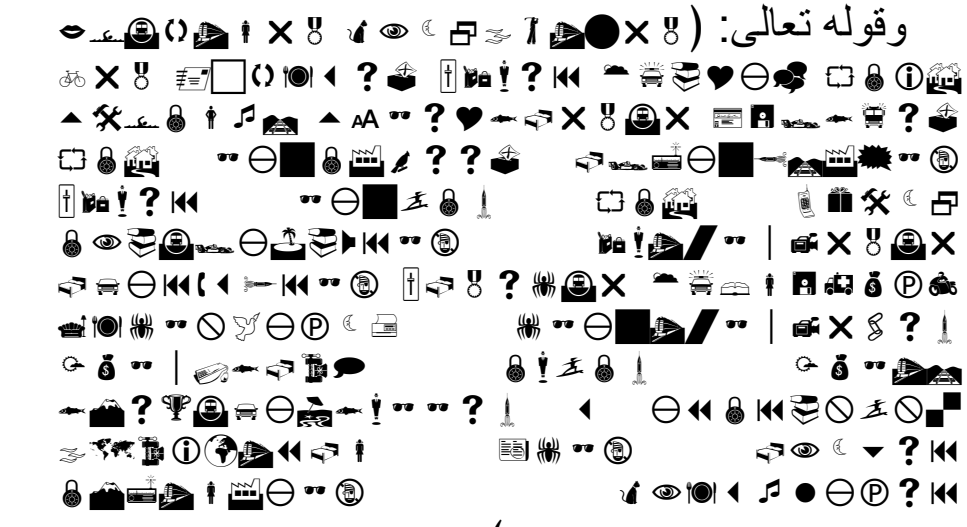) [سورة البقرة: 266].

روى البخاري عند تفسير هذه الآية: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ ا يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ غ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ: ( )؟ قَالُوا: الله أَعْلَمُ. فَغَضِبَ عُمَرُ. فَقَالَ: قُولُوا: نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ أَخِي قُلْ: وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ. قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ. قَالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بَعَثَ الله لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ

[14]() كتاب: تفسير الطبري: 1/354.

بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أعماله [15].

وقوله تعالى: ([سورة الرعد: 17].

قال القرطبي: ضرب مثلاً للحق والباطل؛ فشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء, فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية, وتدفعه الرياح, فكذلك يذهب الكفر ويضمحل[16].

وقال تعالى: (

[15] () صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: (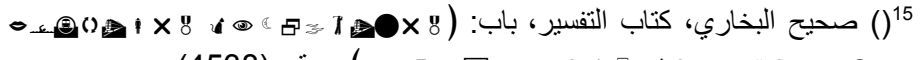)، برقم: (4538).

[16] () كتاب: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الخامس، 9/304.

[سورة العنكبوت: 41].

يقول الشيخ السعدي: «هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره, يقصد به التعزّز والتَّقَوِّي والنفع, وأن الأمر بخلاف مقصوده, فإن مثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا يقيها من الحر والبرد والآفات, ( )أضعفها وأوهاها ( ). فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة, وبيتها من أضعف البيوت, فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفًا,كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء, فقراء عاجزون من جميع الوجوه, وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم, ازدادوا ضعفًا إلى ضعفهم, ووهناً إلى وهنهم[17].

وكذا نجد الأمثال تستعمل بكثرة في السنة, فإليك البعض منها :

● **فعَن ابْنِ عُمَرَ عَن النَّبِيِّ غ قَالَ: «مَثَلُ المُنَافِقِ: كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»**[18].

(الْعَائِرَة) أَيْ: الْمُتَرَدِّدَة بَيْن قَطِيعَيْنِ مِن الْغَنَم، وَهِيَ الَّتِي

---

[17]() تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، ص: 631.

[18]() صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صفات المنافقين وأحكامهم، برقم: (2784). وسنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب: مثل المنافق، برقم: (5040).

تَطْلُب الْفَحْل فَتَتَرَدَّد بَيْن قَطِيعَيْنِ وَلَا تَسْتَقِرّ مَعَ إِحْدَاهُمَا, وَالْمُنَافِق مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِظَاهِرِهِ وَمَعَ الْمُشْرِكِينَ بِبَاطِنِهِ تَبَعًا لِهَوَاهُ وَعَرْضه الْفَاسِد فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ تِلْكَ الشَّاة[19].

● **وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ[20] رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ, وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ, وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ, وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرّ»**[21].

قال ابن حجر: قِيلَ: الْحِكْمَة فِي تَخْصِيص الْأُتْرُجَّة بِالتَّمْثِيلِ دُون غَيْرهَا مِن الْفَاكِهَة الَّتِي تَجْمَع طِيب الطَّعْم وَالرِّيح كَالتُّفَّاحَةِ لِأَنَّهُ يُتَدَاوَى بِقِشْرِهَا وَهُوَ مُفْرِح بِالْخَاصِّيَّةِ, وَيُسْتَخْرَج مِن حَبِّهَا دُهْن لَهُ مَنَافِع, وَقِيلَ: إِنَّ الْجِنّ لَا تَقْرَب الْبَيْت الَّذِي فِيهِ الْأُتْرُجّ, فَنَاسَبَ أَنْ يُمَثَّل بِهِ الْقُرْآن الَّذِي لَا تَقْرَبهُ الشَّيَاطِين, وَغِلَاف حَبّه أَبْيَض فَيُنَاسِب قَلْب الْمُؤْمِن, وَفِيهَا أَيْضًا مِن الْمَزَايَا كِبْر جُرْمهَا, وَحُسْن مَنْظَرهَا, وَتَفْرِيح لَوْنهَا, وَلِين مَلْمَسهَا, وَفِي أَكْلهَا مَعَ الِالْتِذَاذ طِيب نَكْهَة وَدِبَاغ مَعِدَة وَجَوْدَة هَضْمٍ, وَلَهَا مَنَافِع أُخْرَى مَذْكُورَة فِي الْمُفْرَدَات.

---

[19]() شرح سنن النسائي للسندي, المجلد الرابع، 8/124.

[20]() بِضَمِّ الْهَمْزَة وَالرَّاء وَتَشْدِيد الْجِيم وَقَدْ تُخَفَّف, ثَمَر مَعْرُوف يُقَال لَهَا: تُرُنْج جَامِع لِطِيبِ الطَّعْم وَالرَّائِحَة وَحُسْن اللَّوْن وَمَنَافِع كَثِيرَة. وَالْمَقْصُود بِضَرْبِ الْمَثَل بَيَان عُلُوّ شَأْن الْمُؤْمِن وَارْتِفَاع عَمَله, وَانْحِطَاط شَأْن الْفَاجِر وَإِحْبَاط عَمَله. (ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ،13/177).

[21]() صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب: ذكر الطعام، برقم: (5427), وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب :فضيلة حافظ القرآن، برقم: (797).

وَفِي الْحَدِيث فَضِيلَة حَامِلِي الْقُرْآن, وَضَرْب الْمَثَل لِلتَّقْرِيبِ لِلْفَهْمِ, وَأَنَّ الْمَقْصُود مِن تِلَاوَة الْقُرْآن الْعَمَل بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ[22].

● **وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا أَنَّ رَسُولَ الله غ قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ: بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زَاوِيَةٍ, فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ, وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ. وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**[23].

قال النووي: فِيهِ فَضِيلَته غ, وَأَنَّهُ خَاتَم النَّبِيِّينَ, وَجَوَاز ضَرْب الْأَمْثَال فِي الْعَلَم وَغَيْره[24].

● **وعن أبي هُرَيْرَةَ ا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله غ يَقُولُ: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا, فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَزَعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا, فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وأَنْتُمْ تَقَحَّمُوْنَ فِيهَا**[25].

قال ابن حجر: وَحَاصِله أَنَّهُ شَبَّهَ تَهَافُت أَصْحَاب الشَّهَوَات فِي الْمَعَاصِي الَّتِي تَكُون سَبَبًا فِي الْوُقُوع فِي النَّار بِتَهَافُتِ الْفَرَاش بِالْوُقُوعِ فِي النَّار اِتِّبَاعًا لِشَهَوَاتِهَا, وَشَبَّهَ ذَبَّهُ الْعُصَاة عَن الْمَعَاصِي بِمَا حَذَّرَهُمْ بِهِ وَأَنْذَرَهُمْ بِذَبِّ صَاحِب النَّار

---

[22]() ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، 66/9-67.

[23]() صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: خاتم النبيين، برقم: (3535), وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب :ذكر كونه غ خاتم النبيين، برقم: (2286).

[24]() ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد الخامس, (15/51).

[25]() صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي، برقم: (6483) واللفظ له, وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: شفقته غ على أمته، برقم: (2284).

الْفَرَاش عَنْهَا. وَقَالَ عِيَاض: شَبَّهَ تَسَاقُط أَهْل الْمَعَاصِي فِي نَار الْآخِرَة بِتَسَاقُطِ الْفَرَاش فِي نَار الدُّنْيَا[26].

وقال النووي: وَمَقْصُود الْحَدِيث أَنَّهُ غ شَبَّهَ تَسَاقُط الْجَاهِلِينَ وَالْمُخَالِفِينَ بِمَعَاصِيهِمْ وَشَهَوَاتهمْ فِي نَار الْآخِرَة, وَحِرْصهمْ عَلَى الْوُقُوع فِي ذَلِكَ, مَعَ مَنْعه إِيَّاهُمْ, وَقَبْضه عَلَى مَوَاضِع الْمَنْع مِنْهُمْ, بِتَسَاقُطِ الْفِرَاش فِي نَار الدُّنْيَا, لِهَوَاهُ وَضَعْف تَمْيِيزه, وَكِلَاهُمَا حَرِيصٌ عَلَى هَلَاكِ نَفْسه, سَاعٍ فِي ذَلِكَ لِجَهْلِهِ[27].

● **وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ضَرَبَ رَسُولُ الله غ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ؛ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِن حَدِيدٍ, قَد اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا, فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ, وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا. قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله غ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَوَسَّعُ**[28].

قَالَ الْخَطَّابِيّ وَغَيْره: وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النَّبِيّ غ لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ, فَشَبَّهَهُمَا بِرَجُلَيْنِ أَرَادَ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا أَنْ يَلْبَسَ دِرْعًا يَسْتَتِرُ بِهِ مِن سِلَاحِ عَدُوِّهِ, فَصَبَّهَا عَلَى رَأْسِهِ لِيَلْبَسهَا, وَالدُّرُوع أَوَّل مَا تَقَعُ عَلَى الصَّدْرِ وَالثَّدْيَيْنِ إِلَى أَنْ يُدْخِلَ الْإِنْسَان يَدَيْهِ فِي كُمَّيْهَا, فَجَعَلَ الْمُنْفِقَ كَمَنْ لَبِسَ دِرْعًا سَابِغَة

---

[26]() فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، 11/318-319.

[27]() شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد الخامس, (15/50).

[28]() صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: مثل البخيل والمتصدق، برقم: (1443), وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: مثل المنفق والبخيل، برقم: (1021).

فَاسْتَرْسَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى سَتَرَتْ جَمِيعَ بَدَنِهِ, وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «**حَتَّى تَعْفُوَ أَثَره**» أَيْ: تَسْتُرُ جَمِيع بَدَنِهِ. وَجُعِلَ الْبَخِيل كَمَثَلِ رَجُلٍ غُلَّتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ, كُلَّمَا أَرَادَ لُبْسهَا اِجْتَمَعَتْ فِي عُنُقِهِ فَلَزِمَتْ تَرْقُوَته, وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «**قَلَصَتْ**» أَيْ: تَضَامَنَتْ وَاجْتَمَعَتْ, وَالْمُرَاد أَنَّ الْجَوَادَ إِذَا هَمَّ بِالصَّدَقَةِ اِنْفَسَحَ لَهَا صَدْرُهُ وَطَابَتْ نَفْسه فَتَوَسَّعَتْ فِي الْإِنْفَاقِ, وَالْبَخِيل إِذَا حَدَّثَ نَفْسه بِالصَّدَقَةِ شَحَّتْ نَفْسه فَضَاقَ صَدْرُهُ وَانْقَبَضَتْ يَدَاهُ.

وَقَالَ الطِّيبِيّ: قَيَّدَ الْمُشَبَّهَ بِهِ بِالْحَدِيدِ إِعْلَامًا بِأَنَّ الْقَبْضَ وَالشِّدَّةَ مِن جِبِلَّة الْإِنْسَان, وَأَوْقَعَ الْمُتَصَدِّق مَوْقِع السَّخِيِّ لِكَوْنِهِ جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ الْبَخِيلِ إِشْعَارًا بِأَنَّ السَّخَاءَ هُوَ مَا أَمَرَ بِهِ الشَّارِع وَنَدَبَ إِلَيْهِ مِن الْإِنْفَاقِ لَا مَا يَتَعَانَاهُ الْمُسْرِفُونَ[29].

● **وعَن ابْنِ عُمَرَ ب أَنَّ رَسُولَ الله غ قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ**[30] **إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا, وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**[31].

قال ابن حجر: شَبَّهَ دَرْسَ الْقُرْآن وَاسْتِمْرَار تِلَاوَته بِرَبْطِ الْبَعِير الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ الشِّرَاد, فَمَا زَالَ التَّعَاهُد مَوْجُودًا فَالْحِفْظ مَوْجُود, كَمَا أَنَّ الْبَعِير مَا دَامَ مَشْدُودًا بِالْعِقَالِ فَهُوَ

---

[29]() ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، 3/306-307.

[30]() وَالْمُعَقَّلَة بِضَمِّ الْمِيم وَفَتْح الْعَيْن الْمُهْمَلَة وَتَشْدِيد الْقَاف أَيْ الْمَشْدُودَة بِالْعِقَالِ، وَهُوَ الْحَبْل الَّذِي يُشَدّ فِي رُكْبَة الْبَعِير (ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، 9/79).

[31]() صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، برقم: (5031), وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الأمر بتعهد القرآن، برقم: (789).

مَحْفُوظ. وَخَصَّ الْإِبِل بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدّ الْحَيَوَان الْإِنْسِيّ نُفُورًا, وَفِي تَحْصِيلهَا بَعْد اسْتِمْكَان نُفُورهَا صُعُوبَة[32].

وكذلك الحديث الذي نحن بصدد شرحه استعمل النبي غ فيه أسلوب ضرب المثل لما لهذا الأسلوب من أثر بالغ على توضيح المراد وتقريب المعاني إلى الأذهان.

* * *

ومن هنا تحصّل لدينا أنّ ضرب المثل أسلوب من أهم الأساليب لتقريب المعاني، وقوة التصوير، وسرعة الإقناع، يحسن بالمعلم والمربي، والداعية والموجه، والأب والأم، أن يستخدم هذا الأسلوب ليكون كلامه مقبولاً، ومعانيه المرادة واضحة وجلية، كما استخدم في القرآن الكريم، واستخدم في السنة النبوية.

* * *

[32]() ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، 9/79.

الوقفة الخامسة:

طلب العلم والتفقه فيه

في هذا الحديث دلالة صريحة على أهمية العلم الشرعي وعظيم أثره، حيث جعل النبي غ صاحبه كالأرض التي قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب، ومن هنا سنقف من أهمية طلب العلم وفضائله وما ينبغي لطالب العلم أن يتحلى به ليكون كالأرض المذكورة، فينفع نفسه وأسرته ومجتمعه، ملخصًا له من رسالة: **قواعد منهجية في طلب العلم.**

أهمية طلب العلم:

الحديث عن العلم والتعلم حديث تحبه النفوس المؤمنة، وترغبه الأنفس الطموحة، وتهواه العقول النيرة، فديننا الإسلامي دين العلم والمعرفة، دين النظر والتفكر، دين البحث والإنتاج، فالدين كله مبني على العلم، فلا يعبد العبد ربه على بصيرة إلا بالعلم، ولا تستقيم الأمة على المنهاج الصحيح إلا بالعلم، ولا تسير الدعوات الإصلاحية سيرًا سليمًا إلا بالعلم, وبالعلم تنتشر الرحمات, وتزال الضلالات.

والعلم حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ودليل الحائرين، والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب.

وقال علي بن أبي طالب ا مبينًا فضل العلم: كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه.

بعض فضائل طلب العلم :

1. **إن العلم** ميراث الأنبياء، والعلماء ورثة الأنبياء،كما صح

بذلك الخبر عن سيد البشر ﷺ [33].

2.**والعلم** طريق موصل إلى الجنة، روى مسلم : عن أبي هريرة أأن النبي ﷺ قال: **«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله به طريقًا إلى الجنة»** [34].

3.**والعلم** سبب لرفعة الفرد والأمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ ﴾ [المجادلة:11].

4.**والعالم والمتعلم** صاحبا نور ووضاءة في الدنيا والآخرة، فقد دعا لهما رسول الله ﷺ بقوله: **«نضّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع»** [35].

5.**والعالم والمتعلم** يفترقان عن غيرهما فرقًا شاسعًا في الدنيا والآخرة, قال تعالى: ﴿ ﴾ [الزمر:9].

---

[33] () فعن أبي الدرداء قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «... وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» وبداية الحديث: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا».

[34] () جزء من حديث رواه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (219) من حديث أبي هريرة ا مرفوعًا بلفظ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة» الحديث, والترمذي في العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2602), وأبو داود في العلم، باب الحث على طلب العلم (3275), وأحمد في مسند الأنصار (20723), ورواه البخاري تعليقًا في كتاب العلم، باب رقم (10).

[35] () سبق تخريجه في ص(16).

6.**والعالم والمتعلم** أعرف الناس بالله وأتقاهم وأخشاهم له؛ إذ إنهم عرفوا الله فعبدوه حق عبادته، قال تعالى: ﴿ ﴾ [فاطر:28].

7.**وطالب العلم** مأجور طوال حياته إذ إنه ساع في سبيل الله، قال عليه الصلاة والسلام: **«من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»**[36].

وغيرها من الفضائل كثيرة.

أنواع العلم المكلف بها الأمة :

طلب العلم على نوعين:

1.منه ما هو فرض عين يجب أن يعرفه كل واحد من المسلمين، وهو المعلوم من الدين بالضرورة وما يجب عليه معرفته، كأركان الإسلام، من توحيد الله تعالى، ومعرفة أحكام الصلاة، وكذا إذا كان تاجرًا وبائعًا ومشتريًا معرفة البيع والشراء وما يتعلق بهما... وهكذا.

2.ومنه ما هو فرض كفاية في الأمة، ومندوب للأفراد, وهو ما يتعلق به حاجة الأمة من بيان تفصيل أحكام الاعتقاد، وأحكام الحلال والحرام، وتفاصيل ما يتعلق بالآيات والأحاديث، وما يعضد ذلك من اللغة العربية وأحكامها. فهذا النوع من العلم إن قام به البعض سقط عن باقي الأمة, وإن لم يطلب به أحد منهم أثموا كلهم.

الصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم:

1-أولها وأعلاها: إخلاص النية لله سبحانه:

فطلب العلم من أجل العبادات، بل طلب العلم أفضل من نوافل

---

[36]() أخرجه الترمذي في العلم، برقم (2647) باب فضل طلب العلم، وقال: هذا حديث حسن غريب.

الصلاة والصيام، فهو يفتقر إلى نية خالصة لله سبحانه.قال تعالى: ( ) [سورة البينة:4-5].

2- ملازمة خشية الله تعالى ومراقبته:

قال الله تعالى: ( ) [فاطر:28]. ففيه إشارة إلى ضرورة الخشية التي تقود إلى العمل بهذا العلم.

3-الرفق واللين، وعدم الاستعجال في الطلب:

فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما عدم من شيء إلا شانه.

ومن أراد أن يحمل العلم جملة واحدة، فسيضيعه جملة واحدة،، قال الشاعر:

اليوم شيء وغـــدًا مثلـــه من نخب العلم التي تلتقط

يحصل المرء بها حكمة إنما السيل اجتماع النقط

4- الصبر والمصابرة:

فالعلم بحر متلاطم لا ساحل له، ولا يمكن الغوص في هذا البحر والوصول إلى أعماقه إلا بالصبر، وقد حث الله تعالى على هذه

الخصلة في كل شيء، فقال تعالى: (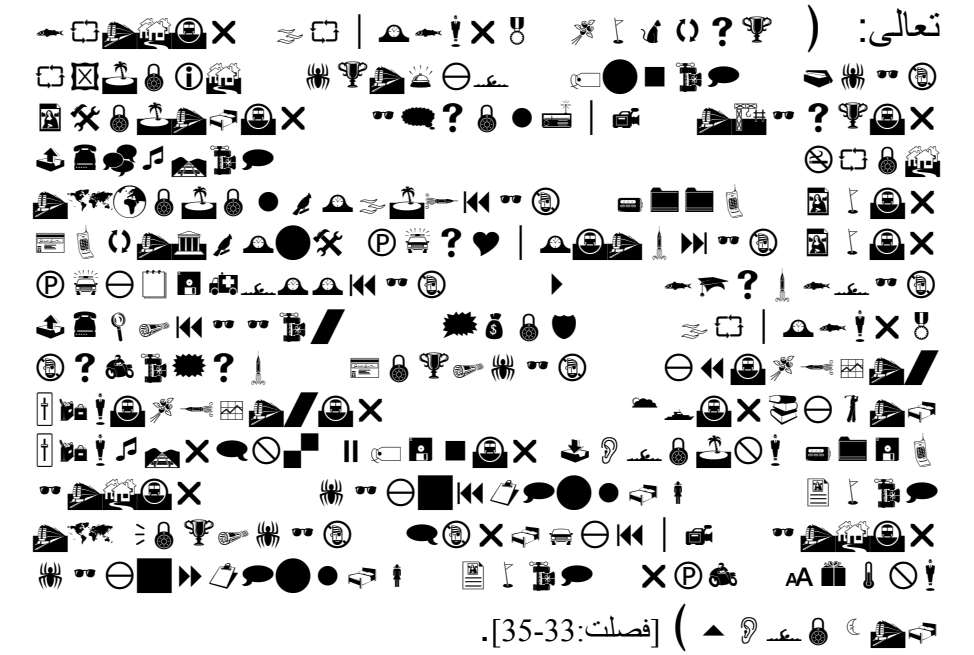) [فصلت:33-35].

فالصبر عدة الأفذاذ وقوة السائرين، به يصلون إلى غاياتهم ومناهم، فعلى طالب العلم أن يحذر من العجلة والملل وقلة الصبر.

كمايقول الشاعر :

لا تحسب المجد ثمرًا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

5- التواضع وخفض الجناح، ونبذ الكبر والبطر والتعالي:

فالعلم يحتاج أن تتذلل له، وأوضح قدوة في ذلك أن كثيرًا من الصحابة رووا عن التابعين.

وكان ابن عباس بيأخذ بركاب ناقة زيد بن ثابت ويقول: هكذا أمرنا باحترام علمائنا.

ومن تواضع لله رفعه، وقال القائل:

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

6- الحرص على اغتنام الأوقات وقوة الشباب:

عمر الإنسان مراحل يبدأ بضعف ثم قوة وينتهي إلى ضعف، والمؤمن من يغتنم أوقات قوته وشبابه، فإن هذا الوقت هو وقت التحصيل وحمل العلم، فالمحافظة على هذا الوقت فرصة غالية.

فالحذر الحذر! من ضياع الأوقات، فالعلم لا ينال بأجزاء من الوقت مقطعة، أو بوقت الكلل والتعب، أو بوقت الفراغ من الأعمال، فالعلم لا يقبل هذا، وقد قيل: أعط العلم كلك يعطِك بعضه، وأعطه بعضك لا يعطك شيئًا.

7- المواصلة والاستمرار في طلب العلم:

فيواصل طالب العلم ولا يمل ولا يكل، فمن طلب العلا سهر الليالي, ولكن إذا تطرق إليه الملل فلا مانع من وضع فسحة بين وقت وآخر لتستعيد النفس نشاطها، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ا: «أجمّوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان»([37]).

8-العمل بالعلم:

فهو زكاة العلم وهو الثمرة منه، ولا ينفع بدونه، بل قد ذم الله تعالى الذين يقولون ما لا يفعلون، قال تعالى:

[الصف:2، 3].

وقال تعالى:

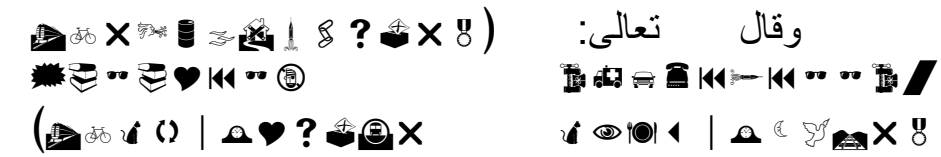

[البقرة:44].

---

[37]() جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر 1/126.

فهذه بعض الصفات التي إذا اتصف بها الإنسان يرجى له أن يحصل العلم. فالبدار البدار يا طالب العلم إلى هذا المنبع الصافي لكي تنهل من معينه.

أسباب النجاح في طلب العلم :

قال ابن القيم :: للعلم ست مراتب:

حسن السؤال: (أي أن لا يحرج المعلم بأسئلة غير واقعية وغير مفيدة، وأن لا يسأل حتى يكمل المعلم الدرس، ولا يكن قصده من السؤال التعجيز أو اختبار المعلم).

وحسن الإنصات والاستماع: (أن يركز الطالب فيما يقوله المعلم ويمعن فيه، لأن القلب الغافل لا يحصل على شيء).

وحسن الفهم: (وذلك لا يأتي إلا بحسن الاستماع).

وتعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. (بأن لا يؤخر عمل اليوم إلى الغد من مذاكرة الدروس وحفظ الواجبات وحل المشكلات).

والتعليم: (العلم شيء وحيد كلما بذله صاحبه زاد وتكاثر).

والعمل به ومراعاة حدوده وهي ثمرته. ولا يكن ممن قال الله فيه: ﴿ ﴾ [سورة الصف:2-3].

هذه أسباب النجاح في طلب العلم كما ذكره ابن القيم :، ونزيد عليه:

- **أن يتلقى العلم من أهله،** ولا يتكئ على الكتب فحسب، كما أنه لا ينبغي أن يتعلم ممن هو ليس بأهله.

- **أن يقدم الأهم فالمهم،** فأولا يحفظ القرآن الكريم وشيئاً من السنة النبوية، ثم يركز على حفظ المتون، وهكذا.

- **أن يسلك سبيل التدرج،** فلا يمكن لطالب العلم أن يتقن جميع العلوم مرةً واحدةً، بل عليه أن يتعلم المختصرات ثم المتوسطات ثم المطولات...

- **أن يرتب أوقاته،** فمثلا بعد العصر لحفظ القرآن الكريم، وبعد المغرب لمذاكرة الدروس، وبعد العشاء للمطالعة، وهكذا..

فإذا راعى الإنسان هذه الصفات يرجى له بمستقبل علمي زاهر, ونفع نفسه وأمته. فهيا بنا أن نشد أزرنا في طلبه, ونبذل ما فيه قصارى جهدنا لحصوله, وننفق الغالي والنفيس لأجله, فإن المغبون من حرم بركات العلم[38].

* * *

[38]() هذا الفصل لخصناه من كتابنا: قواعد منهجية في طلب العلم. ومن أراد التوسع فليراجع الكتاب. ولم أفصّل هنا اكتفاءً بما ذكر هناك.

الوقفة السادسة:

الدعوة إلى الله

دل الحديث على أهمية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وعظم شأنها، فقد جعل النبي غ طالب العلم الداعي إلى الله كالأرض التي تنفع الناس بإنباتها للكلأ والعشب، وهذه ثمرة العلم وزكاته، ولذا سنتطرق بشيء من التفصيل في هذه الوقفة عن الجوانب المهمة في الدعوة في ضوء المباحث الآتية:

* * *

المبحث الأول:

مفهـوم الدعوة

«الدَعوة» إلى الطعام: بالفتح, يقال: كنا في دَعوة فلان و مدعاة فلان,وهو مصدر، والمراد بهما الدعاء إلى الطعام.

والدِعوة: بالكسر في النسب, والدعيُ من تبنيتَه، ومنه قوله تعالى: 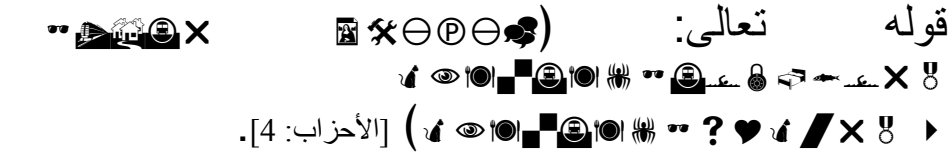

وداعية اللبن: ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده. وفي الحديث: دع داعي اللبن[39].

أي: أبق في الضرع قليلًا من اللبن ولا تستوعبه كله فإن الذي تبقيه فيه يدعو ما وراءه من اللبن, فينزله, وإذا استقصي كل ما في الضرع أبطأ دره على حالبه.

والدعوة تأتي بمعنى الاستغاثة: وهو كقولك للرجل: إذا لقيت العدو خالياً فادع المسلمين, ومعناه: استغث بالمسلمين. فالدعاء هنا بمعنى الاستغاثة.

كما تأتي بمعنى العبادة: قوله تعالى:

[39]() ينظر: مختار الصحاح للرازي، ص: 206.

[غافر: 60], وقال النبي غ: **«الدعاء هو العبادة».**

فعَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَن النَّبِيِّ غ فِي قَوْلِهِ:

), قَالَ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ. وَقَرَأَ:

) إِلَى قَوْلِهِ (**). قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ** (40).

والدعاء: الرغبة إلى الله عز وجل. والدعوة: المرة الواحدة من الدعاء. ومنه الحديث: **عن لُقْمَان بْن عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ:قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ, وَبُشْرَى عِيسَى, وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ**(41).

فدعوة إبراهيم عليه السلام؛ قوله تعالى:

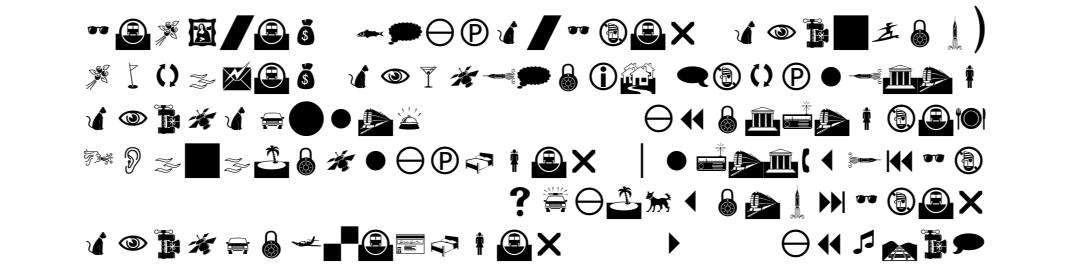

[سورة البقرة: 129], وبشارة عيسى عليه

---

(40) جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة البقرة، ح: (2969).
(41) مسند أحمد (5/262).

السلام؛ قوله تعالى: (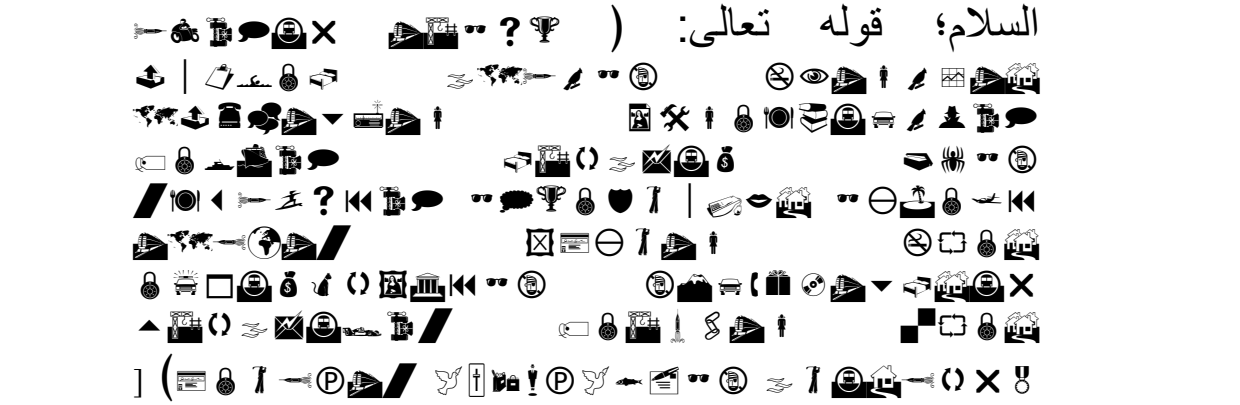]

سورة الصف: 6].

ودعا الرجل دعوًا ودُعاءً: ناداه.والاسم الدعوة, ودعوت فلاناً, أي: صحت به, واستدعيته, والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدىً أو ضلالةً, واحدهم داعٍ. ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين, أُدخلت الهاء فيه للمبالغة. والنبي غ داعي الله تعالى.ومنه قوله تعالى: (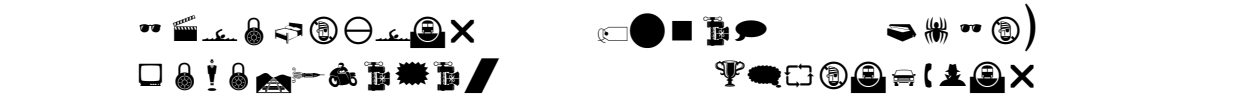 [الأحزاب: 46]. معناه: داعيًا إلى توحيد الله وما يقرب منه[42].

والدعوة يراد بها في الشرع أحد معنيين:

1 ـ المعنى الأول: الإسلام.

2 ـ المعنى الثاني: «نشر هذا الدين للناس». وفي المجال الدعوي يقصد هذا المفهوم على العموم. كما قال تعالى: (

[42]() ينظر: لسان العرب لابن منظور: فصل الدال, حرف الواو والياء, المجلد التاسع, 18/281-284. بتلخيص.

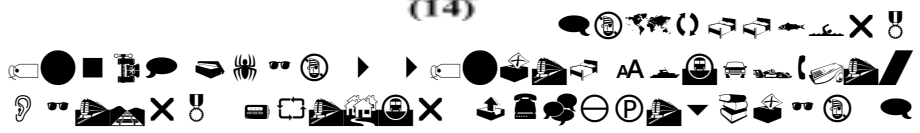

..) [سورة يوسف: 108]. والمقصود بالدعوة إلى الله الدعوة إلى دينه.

* * *

وهذا المعنى الأخير هو المراد بالبحث بمفهومه العام سواء كانت الدعوة إلى الإسلام وترك الكفر، أو الدعوة إلى الطاعة وترك المعصية، أو الدعوة إلى العمل الفاضل وترك المفضول.

* * *

المبحث الثاني:

موضوع الدعوة

إن المقصود بالدعوة إلى الله الدعوة إلى دينه, وهو الإسلام كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [سورة آل عمران: 19], ذلك الدين الكامل الشامل، دين جميع الأنبياء والرسل، دين السعادة والراحة والطمأنينة، ارتضاه الله لهذه الأمة، وأكمله على حبيبه وخير خلقه؛ محمد ابن عبد الله غ، قال تعالى: ﴿ ﴾ [سورة المائدة :3].

فلا يقبل عند الله دين سواه كما قال تعالى: ﴿ 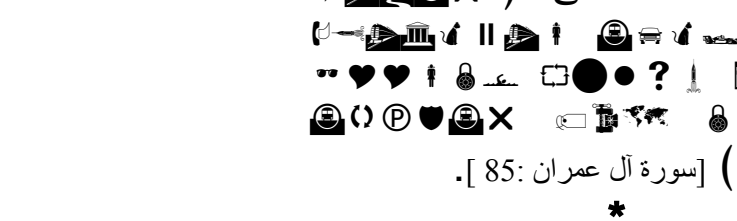 ﴾ [سورة آل عمران :85].

* * *

والإسلام: هو الخضوع والاستسلام والانقياد لله رب العالمين, كما يلزم الإنسان أن يمتثل جميع الأوامر بقدر المستطاع ويجتنب النواهي كلها, وأجمل مفهوم للدين ما جاء في حديث جبريل عليه السلام الذي ذكرت فيه مراتب الدين: فعن ابن عمر بقَالَ :حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ t، قَالَ:

«بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله غ ذَاتَ يَوْمٍ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ،حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ غ؛ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله غ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله غ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله ،وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ »[43].

فقد ذكر في هذا الحديث العظيم مراتب الدين، فالدعوة إلى الإسلام تعني الدعوة إلى الدين في اتباع جميع أوامره وأحكامه وشرائعه واجتناب نواهيه.

---

[43]() أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي غ عن الإيمان والإسلام والإحسان، برقم: (50)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم: (8) واللفظ له.

وإذا نظرنا في سيرة النبي غ وجدنا أنه دعا الناس إلى جميع أحكام الدين, فقد دعا الناس من الكفر إلى الإسلام, ومن الضلال إلى الهدى, ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الميل إلى الاستقامة, ومن المفضول إلى الفاضل, وإن كان الأصل: الدعوة من الكفر إلى الإسلام. وقد بعثه الله لذلك كما قال تعالى:

[آل عمران: 164].

* * *

وحاصل الأمر أن موضوع الدعوة هو: الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، ومن ثم الدعوة إلى تطبيق الشريعة بكاملها من العبادات والأخلاق والآداب، والسلوك والاستقامة، ونبذ الشرك والكفر والنفاق، وعموم المعاصي والآثام وغيرها.

* * *

المبحث الثالث:

أهداف الدعوة

إن للدعوة أهدافاً ساميةً, تتجلى من خلال دراسة سيرة النبي غ, لا يجوز الحيدة والانصراف عنها، كما يجب على المسلم الواعي أن يتصورها ويعيها، ويجددها بين الحين والآخر حتى لا تزل به قدم، ولا ينجرف مع هوى، أو يطغى عليه مصلحة دنيوية، أو ينحرف قصده، وهي كالتالي:

● **رضا الله سبحانه وتعالى؛** لأن المسلم يطلب رضا الله تعالى في جميع أموره كما ذكر تعالى عن أوصاف أهل الجنة: (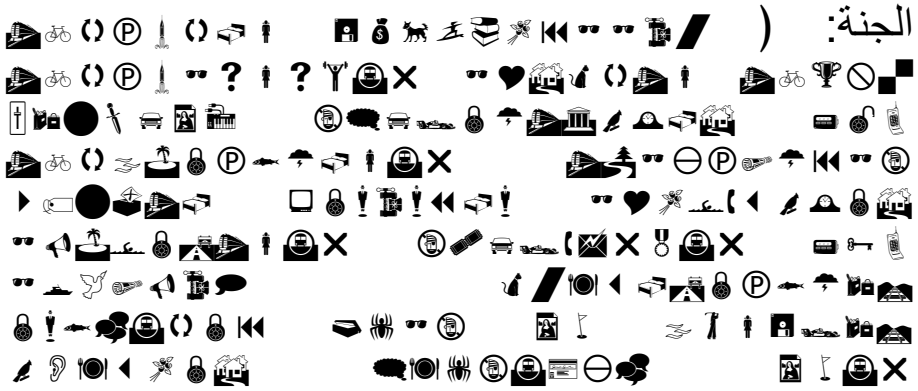) [سورة الإنسان: 7-9].

● **نشر الإسلام في الأرض؛** لأن هذا الدين يعلو ولا يعلى عليه, ولا بد أن ينتصر ولو بعد حين, وأن يدخل في كل بيت وبرٍ ومدرٍ, لا يمنعه من انتشاره جور جائرٍ ولا عدل عادلٍ, وإنْ طَال الزمن أو قصر، فقدْ قال تعالى:

(

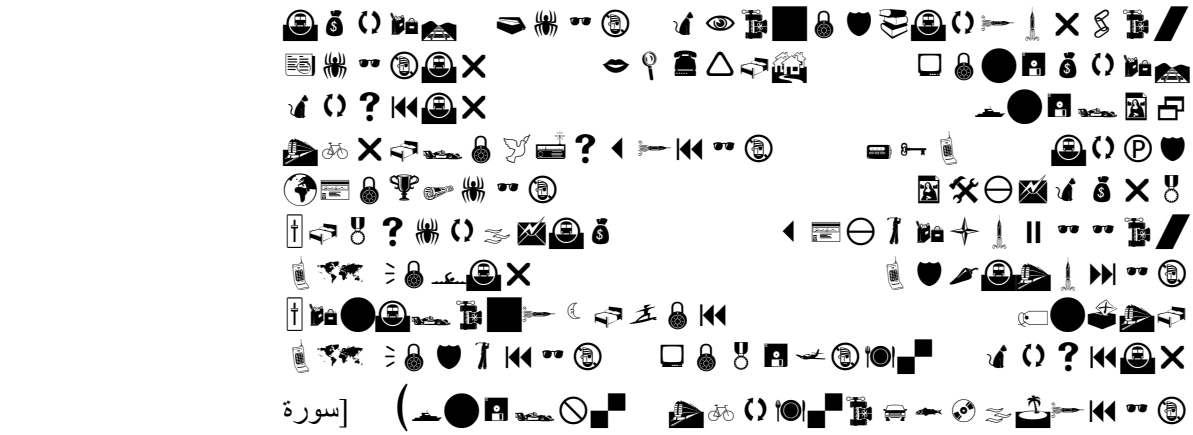

[سورة الصف :8-9], وقال في موضع آخر: (

[سورة التوبة :32-33] وقال في موضع آخر: (

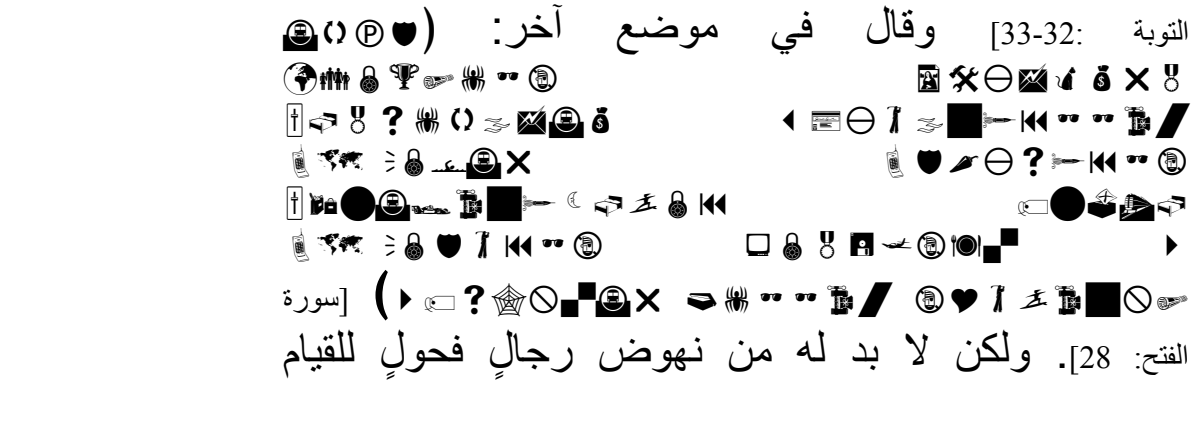

[سورة الفتح: 28]. ولكن لا بد له من نهوض رجالٍ فحولٍ للقيام

بالدعوة, ومن ثم تكون كلمة الله هي العليا, كما جاء في الحديث: عَن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله غ يَقُولُ: **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ, وَلَا يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ, عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ الله بِهِ الْكُفْرَ,** وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي؛ لَقَدْ أَصَابَ مَن أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ, وَلَقَدْ أَصَابَ مَن كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ(44).

ولذلك لم يبعث محمد غ إلا لتبليغ هذا الدين ونشره في الناس، وهو ميراثه الحقيقي، وبناءً على ذلك فالداعي يجب أن يصوغ حياته الدعوية لتحقيق هذا الهدف العظيم.

● **تصحيح العقيدة؛** العقيدة في الإسلام كالرأس في الإنسان، فإن صلحت يرجى له المغفرة ولو بعد حين، وإذا مات وعقيدته فاسدة, أو كان مشركًا بالله تعالى، فلا يغفر له, ويدخل في النار خالدًا مخلدًا فيها, كما قال تعالى: ( ) [سورة النساء: 116] وفي موضع آخر: ( ) [سورة النساء: 48], وإذا نظرنا في سيرة

44() مسند أحمد (4/103).

المصطفى غ نرى أنه اهتم بها في دعوته اهتمامًا كبيرًا، وبالأخص في العهد المكي فإنه لم يتطرق إلى الموضوعات الأخرى إلا قليلًا, لأنه إذا صلحت العقيدة تصلح الأعمال، وبفسادها تفسد جميع الأعمال. وقد جاء بيان هذا الهدف واضحاً في حديث بعث معاذ إلى اليمن، فقد قال له غ: (**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله, فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ, فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ, فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ, وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ**)[45]. فجعل الدعوة إلى (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله الهدف الأول).

● **القيام بالعبادات وتصحيحها:** من أهم أهداف الدعوة؛ تصحيح العبادات المتمثلة بأركان الإسلام الخمسة وغيرها، يوضح هذا حديث معاذ االسابق الذي جعل النبي ﷺ الهدف الآخر بعد الشهادتين أركان الإسلام ابتداءً بالصلاة، ثم الزكاة، ولا شك أن هذا الهدف من أعلا الأهداف وأسماها.

● **تصحيح السلوك والأخلاق:** قال تعالى: (●Ⓟ❍🕋 ⊖●⊖Ⓟ🚢 🏷🍺🗺 📰🎖🏆🔫🕷●●Ⓜ

---

[45]() صحيح البخاري، الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء (1496)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم: (19). وينظر ما كتبته حول الحديث في كتاب: حديث بعث معاذ إلى اليمن رواية ودراية.

[سورة الجمعة: 2], وهذا من المنن التي أنعم الله بها على البشر, كما قال تعالى: [آل عمران: 164]، وقد مدح الله في القرآن نبيه بأنه صاحب خلقٍ عظيمٍ، فقال تعالى: [سورة القلم: 4], وقد سئلت أم المؤمنين عائشة ل عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فأجابت بأن خلقه القرآن؛ كما جاء في الحديث عَن سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: **أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ الله غ. قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ, أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: [سورة القلم: 4] قُلْتُ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ. قَالَتْ: لَا تَفْعَلْ.**

أَمَا تَقْرَأُ: ([illegible]) **فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ الله غ, وَقَدْ وُلِدَ لَهُ** (46).

وقد جاء في الحديث: عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله غ: **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»**(47). وهذا التحديد يجعل من أهم أهداف الدعوة: الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال.

ولذلك لم يتلفظ النبي صلى الله عليه وسلم لفظاً سيئاً بسباب أو شتائم طوال حياته الشريفة على أي شخصٍ؛ كائناً من كان, كما جاء في الحديث, فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: **قِيلَ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**(48). فتمثل عليه الصلاة والسلام هذا الهدف الكبير في حياته قولاً وعملاً، فحري بالداعية أن يقتدي به، فيجعل هذا الهدف من أهم أهداف دعوته.

● **عمارة الأرض:** من خلال الدعوة إلى الله تعمر الأرض عمارة حسية ومعنوية بالصالحات والحسنات، ويكرم الصالحون، ويكون لهم سلطان على المجتمع, وبدونها تروج البدع والضلالات, وتكون الشوكة للفساق والفجار, فليحرص الداعية على عمارة هذه الأرض من خلال دعوته, بل قد جعل الله تعالى خلقه الناس لعمارة الأرض كما قال سبحانه: (

46() مسند أحمد (6/91).
47() مسند أحمد (6/91).
48() صحيح مسلم, كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم: (2599).

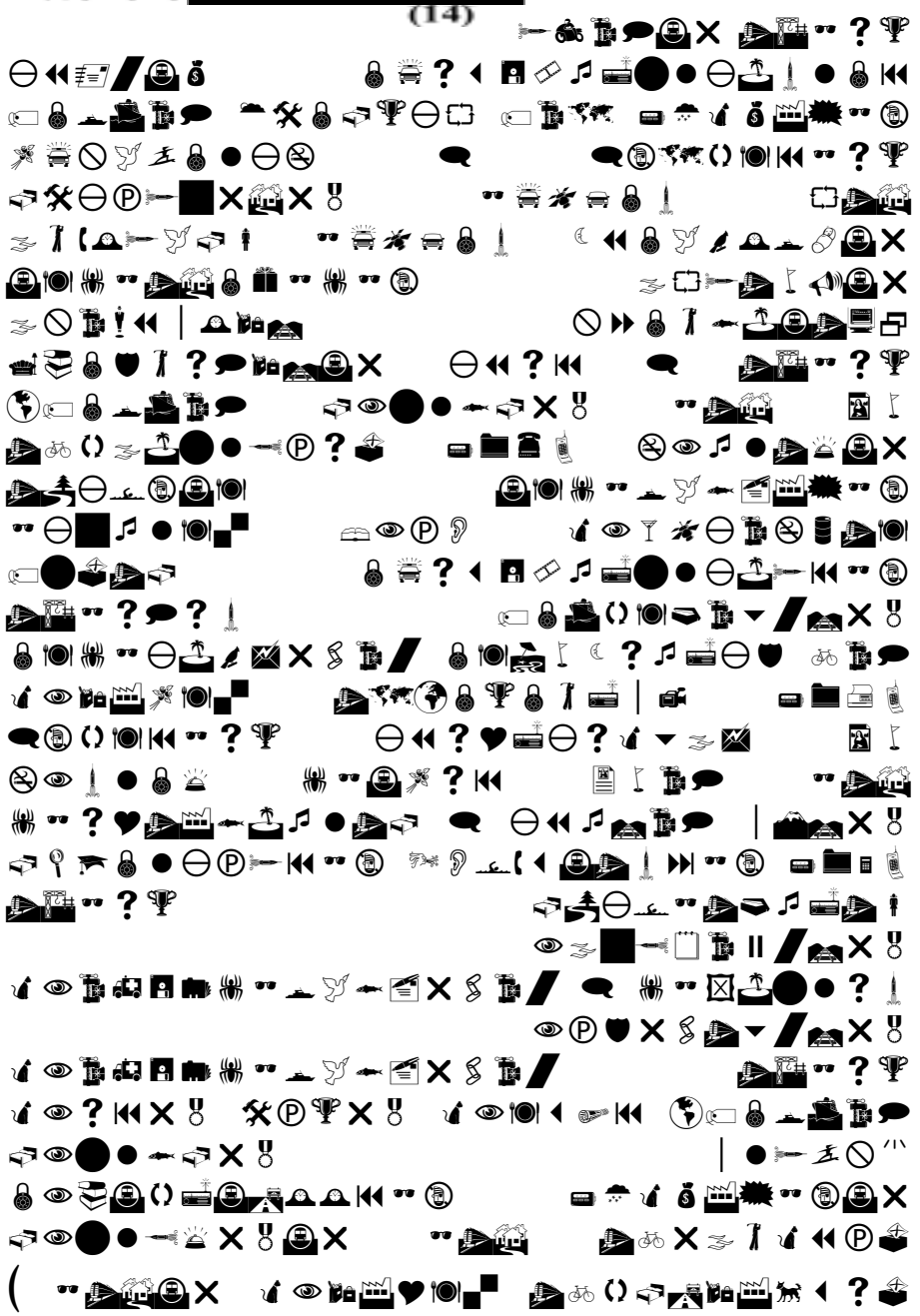

[سورة البقرة: 30-33]. فنلحظ هنا أن جعل خلق آدم عليه السلام

ليكون خليفةً في الأرض، والخلافة تعني عمارة الأرض، ومن هنا فالدعوة في هذا الدين يجب أن تكون سبباً لهذه العمارة، وعليه فما كان مفسداً لهذا الكون من فساد وقتل وتدمير فهو خارج عن الهدف الحقيقي، بل لم يجعل الجهاد في سبيل الله إلا للعمارة، فلو كان الجهاد مفسداً للكون لخرج عن هدفه الحقيقي، وهذا المعنى عظيم فليتأمل.

● **القيام بمهمّة البلاغ:** إن من أهداف الدعوة إلى الله إقامة الحجة على الجميع, ولقد ورد في كثير من الآيات بأن هذا الأمر كان من مهمة النبي غ، كما قال تعالى: ([سورة الشورى: 48], وقال في موضع آخر: ([سورة الغاشية: 21-26], وجاء في موضع آخر: ([سورة ق: 45], وكما

جاء على لسان إبراهيم: ﴿ [سورة العنكبوت: 18]، يقول القرطبي: « قيل: هو من قول إبراهيم, أي التكذيب عادة الكفار وليس على الرسل إلا التبليغ»(49). وقال تعالى: ﴿ [سورة النحل:35]. بل قد ورد هذا المعنى حوالي خمس عشرة مرة في القرآن، وكل ذلك يؤكد بأن مهمة الرسل والنبيين البلاغ المبين. ومعنى ذلك أنه ليس الهدف الحصول على النتائج، فإذا بلّغ المبلّغ حقّق هدفه، قال تعالى: ﴿

(49) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد السابع, 13/336.

[سورة الأعراف: 164-165]. فليفهم هذا المعنى العظيم حتى لا يصل هدف الداعي إلى الانتقام الشخصي، أو المجادلة بالباطل، أو تحقيق ما أراد ولو تبين خلافه.

* * *

● وخلاصة الكلام وبعبارة مختصرة تجتمع هذه الأهداف في **(نقل العباد من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد)**، قال تعالى: [سورة الذاريات: 56] ودعوة كل نبي كانت تؤكد على هذا المبدأ, كما قال تعالى: [سورة النحل: 36] وقال تعالى: [سورة الأنبياء :25], والرسول غ جاء لتحقيق «**لا إله إلا الله**», ولذا كان يدعو إلى هذه الكلمة كلَّ من يلقاه, في المجالس والأسواق ومجامع الناس, **فَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ غ؛ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ**

قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا». وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ, فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا, وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا» إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ، وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ، كَاذِبٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا. قَالَ: لَا وَاللهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ [50].

وهذا الهدف الكبير يندرج تحته ما قيل من أهداف سابقة لكنها ذكرت على سبيل التفصيل.

ويبقى أن نشير هنا أنه يمكن للداعية أن يجعل هذه أهدافًا عامةً يصوغ تحتها أهدافًا خاصةً تندرج تحتها، لأنه لا يستطيع بمفرده أن يقوم بكل شيء، مثل: أن يكون هدفه دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، فيعمل الوسائل المناسبة لها، فيهتم بالكتب المترجمة، والنشرات، والأشرطة المناسبة باللغات المختلفة، ويتعرف على من يجيدها، وأماكن تواجد هؤلاء، ويعمل البرامج التي تناسب هؤلاء الداخلين في الإسلام، أو من يريد الدخول، كالمناقشات المناسبة، والرحلات للعمرة، والدروس لأركان الإسلام والإيمان، ومزايا الدين وغير ذلك.

وهكذا كل داعية يتجه إلى هدف خاص، والمرأة كذلك إذا جعلت هدفها تربية أولادها على حفظ كتاب الله، وتقوية

---

[50]() مسند أحمد، برقم: (3/492).

عقيدتهم، وتنشئتهم على الأخلاق الطيبة، فتعمل الوسائل المناسبة لذلك.

وهذا يعنى: أن تلك الأهداف أهداف للدعوة عامة، وهي عامة أيضاً لكل داعية، أو مؤسسة دعوية، فعلى كل داعية من ذكر أو أنثى يصوغ هدفه أو أهدافه الخاصة ليعمل لها.

* * *

المبحث الرابع :

فضائل الدعوة إلى الله

لا يخفى على مسلمٍ بصيرٍ بدينه أن الدعوة إلى الله وتبليغ دينه إلى عامة الناسً من أهم الواجبات، وأن مرتبتها من أعلى المراتب وأفضل القربات, وفضلها كبيرٌ, وأجرها عظيمٌ, حيث ندب الله إليها في كتابه، وحث عليها رسوله غ، بل كانت حياته كلها غ قائمة على ذلك، وهي ميراثه عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: (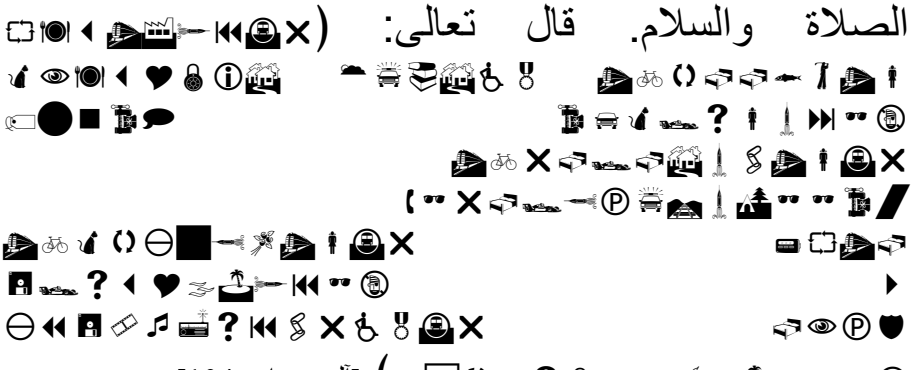) [آل عمران: 104].

وقال تعالى: ( ) [آل عمران: 110].

ونشير هنا إلى شيء من فضائلها وآثارها، ومنها:

● **أنها ميراث نبينا محمد غ**، قال تعالى: (

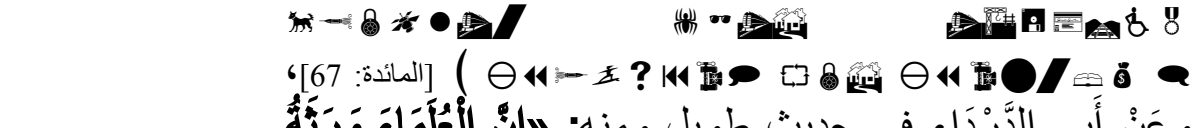
[المائدة: 67]،

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ في حديث طويل ومنه: **«إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ, إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا, إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»** (51).

ومن متطلبات العلم: العمل به, والدعوة إليه, وتحمل الأذى في سبيله.

● **ومن فضائلها ثناء الله تعالى على الدعاة إليه, العاملين بعلمهم**, كما قال تعالى: (
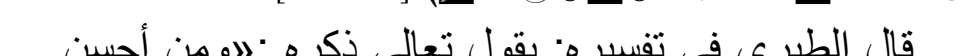
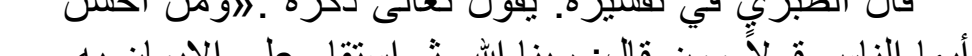
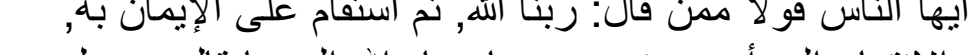
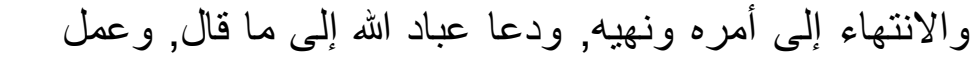

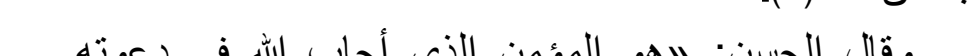
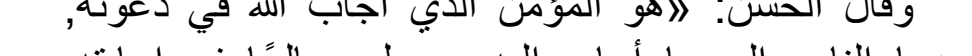
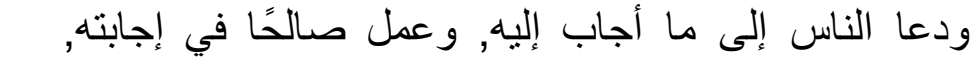

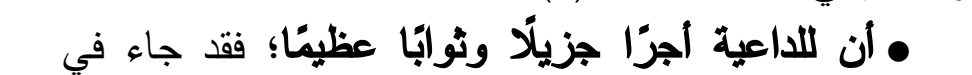
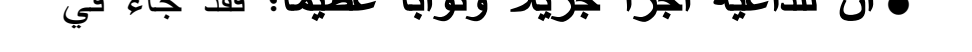

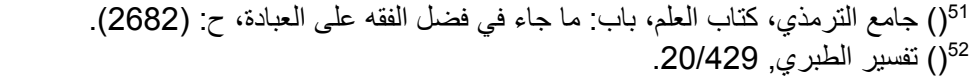

[فصلت: 33].

قال الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره :«ومن أحسن أيها الناس قولاً ممن قال: ربنا الله, ثم استقام على الإيمان به, والانتهاء إلى أمره ونهيه, ودعا عباد الله إلى ما قال, وعمل به من ذلك(52).

وقال الحسن: «هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته, ودعا الناس إلى ما أجاب إليه, وعمل صالحًا في إجابته, وقال: إنني من المسلمين»(53).

● **أن للداعية أجرًا جزيلًا وثوابًا عظيمًا**؛ فقد جاء في

51() جامع الترمذي، كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح: (2682).
52() تفسير الطبري, 20/429.
53() معالم التنزيل للبغوي: 4/66-67.

الصحيح من قول النبي غ

في حديث طويل أنه قال لعلي ا يوم خيبر: **«انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِن أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»**[54]. والدعوة من الدلالة على الخير. والدال على الخير له مثل أجر فاعله, عَن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ا قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ غ, فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: مَا عِنْدِي. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَن يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ غ: مَن دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**[55].

● **ومنها استمرار الحسنات للداعية,** لأنها من العلم الذي ينتفع به, فقد جاء في الحديث: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ غ قَالَ: **« إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ, أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ, أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »**[56].

وعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ غ: **«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا, وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ, مِن غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيْءٌ, وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا, وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعْدِهِ, مِن غَيْرِ أَنْ**

---

[54]() صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل, ح: (3009).

[55]() صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله, ح: (1893).

[56]() صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته, ح: (1631).

يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[57] .

يقول النووي في شرحه: فِيهِ: الْحَثّ عَلَى الِابْتِدَاء بِالْخَيْرَاتِ وَسَنّ السُّنَن الْحَسَنَات, وَالتَّحْذِير مِن اِخْتِرَاع الْأَبَاطِيل وَالْمُسْتَقْبَحَات, وَسَبَب هَذَا الْكَلَام فِي هَذَا الْحَدِيث أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّله: **«فَجَاءَ رَجُل بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا, فَتَتَابَعَ النَّاس»** وَكَانَ الْفَضْل الْعَظِيم لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْر, وَالْفَاتِح لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَان[58].

● **ويكرم الداعية بمعية النبي غ** لقيامه بمهمته، وهي الدعوة؛ لقوله تعالى: ﴿ ﴾ [يوسف: 108]

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين: الجن والإنس, آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك, ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي»[59].

● **إن الدعوة إلى الله يحصل بها الإصلاح في الأرض**,

---

[57]() صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب :الحث على الصدقة, ح: (1017).
[58]() شرح صحيح مسلم للنووي، (المجلد الثالث)، 7/104.
[59]() تفسير ابن كثير، 4/345.

ومن ثم تنشر الفضائل وتقل الرذائل، ويصلح الكون والناس، ويسعون إلى الإصلاح الحسي والنتاج المثمر، وينتشر الأمن، ويتسع الرزق، ويسعد الناس، وقد أشار إليه نبي الله شعيب لقومه: ([سورة هود: 88].

قال ابن كثير: «أي فيما آمركم وأنهاكم، إنما مرادي إصلاحكم جهدي وطاقتي»[60].

هذا غيض من فيض في فضائل الدعوة وآثارها الحسنة على الفرد والمجتمع. وإلا ففضائلها لا تعدّ ولا تحصى.

* * *

فعلى الداعية إلى الله أن يجد ويجتهد في تبليغ دين الله حسب طاقته وبكل ما يملك من طاقاته ووسائله؛ بالكتابة والخطابة والتوجيه والكلمة والدروس وغيرها.حتى يجني ثمار هذه الدعوة المباركة. رزقني الله وإياكم ذلك.

* * *

[60]() تفسير ابن كثير، 4/275.

المبحث الخامس:

مقومات الدعوة

إن الدعوة إلى الله شأنها عظيم, وفضلها عميم, فيحسن بكل مسلم أن يكون له أوفر الحظ والنصيب فيها, ولكن هذه الدعوة لا تثمر ثمارها إلا إذا قامت على مقومات أساسية، يستعين بها الداعي في دعوته؛ فيكون حليفه التوفيق والنجاح, ومنها :

1. **العلم:** إنه لا يخفى على كل عاقل أن العلم ضروري لكل فرد من أفراد المجتمع, فالعلم غاية كبرى وهدف أسمى يسعى إليه الموفقون المجدون في هذه الحياة، والعلم حياة القلوب، وشفاء الصدور، ونور البصائر، ودليل الحائرين، وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحوال، وهو الهادي إلى الهدى والرشد، والمنقذ من الضلال والهلاك, والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب. كيف لا؟ وهو ميراث النبوة، والذي ورّثه محمد ﷺ، فالأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، والعلماء ورثة الأنبياء. ومن هنا كان للعلم مكانة لا يوازيها شيء. وهذا العلم: هو العلم الشرعي: العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، العلم بتوحيده ومعرفة أحكام حلاله وحرامه. فلا بد للداعية أن ينهل من معين العلم.

وتتضح أهميته في الشريعة بأن أول سورة نزلت على

النبي غ تدل على العلم

حيث قال تعالى: ( ) [سورة العلق: 1-5].

ففي هذه الآيات الكريمة بيان أن أول أمر أمرَ الله نبيه بعد تشريفه بالوحي والنبوة هو القراءة والعلم والعمل.

وكما نبه في موضع آخر أن العالم والجاهل لا يستويان, فقال تعالى:( ) [سورة الزمر: 9].

وبين أن العالم أرفع درجة عند الله من الجاهل, فقال تعالى: (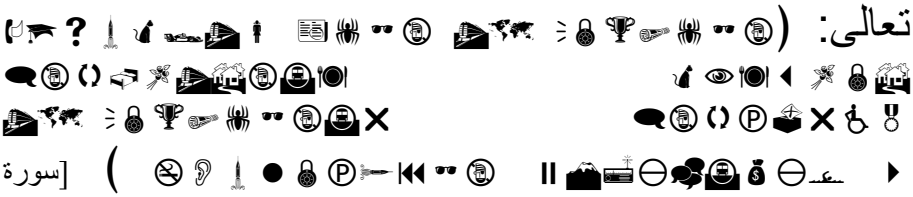) [سورة المجادلة: 11].

وبناءً على هذا لا بد للداعية من التسلح بسلاح العلم, لأنه لا تسير الدعوات الإصلاحية سيرًا سليمًا إلا بالعلم, ولا تستقيم الأمة على المنهاج الصحيح إلا بالعلم، وبدونه تقع في الأخطاء الفاحشة, ونتيجة التخلي عن العلم: الجهل والتخبط

والضياع عقدياً وفكرياً, فالدعوات التي لا تقوم على العلم الشرعي مصيرها الضياع والفشل والانحراف(61). وكم من الدعوات المعاصرة لم تصل إلى النجاح المطلوب لفقدان قادتها إلى العلم الشرعي الذي تقوم عليه الدعوة، فبنت أهدافها ووسائلها على الاجتهادات الفردية، أو ما يرونه من مصالح، فوقعوا في تخبطات عقدية، وفكرية، وشرعية، على مستوى أفرادها، وعلى مستوى الجماعة كلها.

2. **الإخلاص:** إن الدعوة إلى الله من أجلّ العبادات، فهي تفتقر إلى نية خالصة لله سبحانه. و لا يمكن أن تنجح الدعوة ويصل الداعية إلى هدفه المنشود إلا بالإخلاص لله وحده، لا أجرًا في الدنيا ولا رياءً ولا سمعةً، وإنما طمعًا في ثواب الله وأجره، وإصلاحاً لعقيدة الناس وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، ويكون شعاره: ([illegible]) [هود: 51].

والإخلاص ركن أساسي في كل عمل، أمر الله به سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، ونص عليه رسوله ﷺ، بل علق قبول الأعمال عليه، قال تعالى: ([illegible]) [الزمر:14].

وقال تعالى: ([illegible]

61() وقد ذكرنا ه في الوقفة الخامسة بشيء من التفصيل.

[البينة:5].

وقال تعالى: ( )

[الزمر:2].

وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب ا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»**[62].

فالدعوة إلى الله من أهم الأعمال الصالحة التي يرجى بها القرب من الله سبحانه وتعالى فتحتاج حاجة عظيمة لتجريدها لله سبحانه وتعالى، فليقصد الداعية وجه الله سبحانه وتعالى مبتغيًا الأجر والمثوبة، وليحذر من أن ينحرف قصده إلى أي غرض دنيوي من طلب مال أو جاه أو شهرة، أو سمعة أو تميز على الأقران والزملاء، فإن فقدان الإخلاص إلى أحد هذه النوايا ونحوها من أعظم الآفات, ومن أسباب فشل الداعية، أو الدعوات الإصلاحية.

3. **التعبد لله تعالى:** إن الدعوة إلى الله عزوجل وإلى دينه عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، فينوي الداعية التعبد له

---

[62]() أخرجه البخاري في بدء الوحي (1) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي الأيمان والنذور (6689) باب النية في الأيمان، ومسلم في الإمارة (1907) باب قوله غ: «إنما الأعمال بالنية».

سبحانه حتى لا تبقى عملاً روتينياً، أو وظيفةً دنيويةً، بعيدًا عن العلاقة بالله تعالى, كما أمر نبيه غ في قوله:

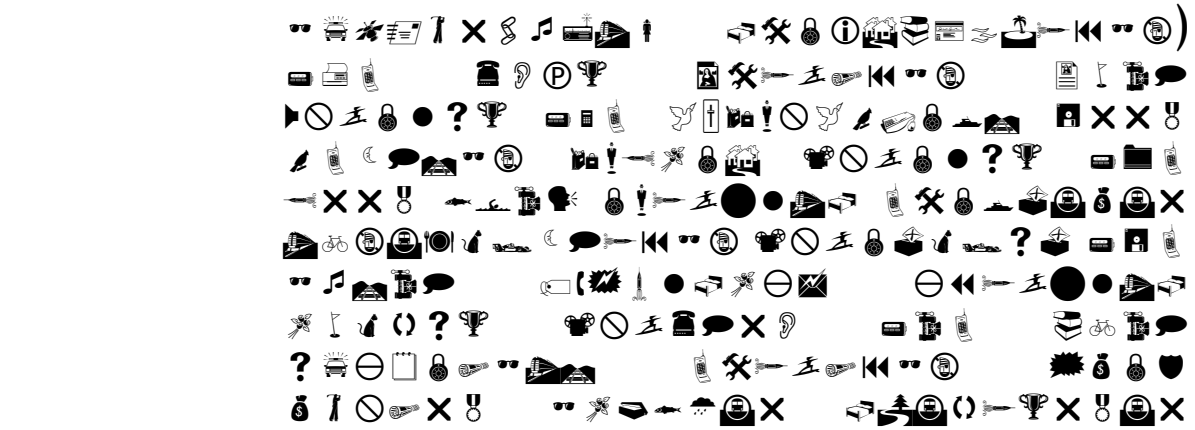

[سورة المزمل :1-6]، فالرسول غ كان يحرص على ذلك التعبد الذي أمر به في هذه الآية الكريمة، قيام الليل، وترتيل القرآن الكريم، وما خلا قلب داعية، أو دعوة من نية التعبد إلا كانت الدعوة وظيفية روتينية، وعملاً مجرداً، خاليًا من ارتباطه بالمولى عز وجل، ولا شك إن من أسباب فشل كثير من الدعوات بُعدها عن التعبد لله تعالى في عملها الدعوي.

4. **وضوح الرؤية والهدف:** فالأنبياء والرسل كلهم جاءوا برسالة واحدة, وهي نقل العباد من عبودية الطاغوت إلى عبودية الله تعالى, وإخراجهم من الظلمات إلى النور, كما قال تعالى: (

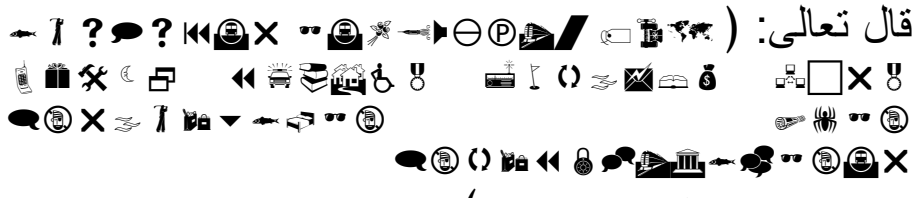

[سورة النحل: 36].

ومما يجب على الدعوات أن تعرف أن أهم ما يدعى إليه الناس هو توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة, وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام مصداقًا لقوله تعالى: ( ) [سورة نوح: 3]، ثم يدخل في الدعوة إلى الله ببقية الشرائع.

ولقد كان هدف الدعوة واضحًا في دعوة النبي غ, وحينما جهر بالدعوة فقد دعا الناس إلى التوحيد, كما جاء في الحديث: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: **لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (**) **وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ, خَرَجَ رَسُولُ الله غ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا, فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهْ! فَقَالُوا: مَن هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ, فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا, ثُمَّ قَامَ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: (**) **وَقَدْ تَبَّ كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ**[63].

---

[63]() صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) برقم (4971)، وصحيح مسلم, كتاب الإيمان، باب: في قوله تعالى: (

وهكذا كان هدفه ﷺ واضحاً لدى عرض الدعوة على الوفود، كما جاء في الحديث: (**عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا فِي إِمْرَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاظٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا. وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ غ وَأَبُو جَهْلٍ**[64]).

وكذا كان يوضح هدفه عليه الصلاة والسلام في رسائله، فكتب إلى هرقل: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**[65]).

وفي وصيته لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن جلّى له الهدف واضحاً: فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ ب أَنَّ رَسُولَ اللهِ غ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ا إِلى الْيَمَنِ قَالَ: **إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ, فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ, فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِن أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى**

[illegible]، برقم: (208).

[64]() مسند أحمد (5/371).

[65]() صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ([illegible])، برقم: (4553).

فُقَرَائِهِمْ, فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ, وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ[66].

فنخلص من هذا كله إلى أن الدعوة يجب أن تكون رؤيتها واضحة، وأهدافها بينة، ومما تجب مراعاته في هذا أن تكون الرؤية سليمة شرعًا وعقلاً.

5- **سلامة الوسيلة من الانحراف:** فالغاية لا تبرر الوسيلة, وينبني على هذا المقوّم: الخلق القويم, والسلوك المستقيم, فلا تبلغ دعوة الله بوسائل محرمة, أو غير شرعية؛ كالغناء والتماثيل, أو التجريح والغيبة. فنرى كثيرًا من الفرق الإسلامية, والحركات الدينية, قد ضلّوا السبيل, وجانبوا الطريق القويم, وانحرفوا عن جادة الصواب, بسبب تطرقهم إلى وسائل غير مشروعة, وأوضح مثال على ذلك بعض طرق الصوفية, اختاروا الوسائل المحرمة كالغناء والرقص وغيرها, فلعب الشيطان بعقولهم, فضلّوا وأضلّوا الناس عن الدين الحق، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا, والله المستعان.

6- **البدء بالأهم فالمهم:** من أهم مقومات الدعوة الأساسية التي توصلها إلى أهدافها: فقه الأولويات والمهمات، وترتيبها بدءاً بالأهم فالمهم، ويدل على هذا حديث معاذ ا حينما بعثه النبي غ إلى اليمن، ففي الصحيحين أن معاذًا t قال: بعثني رسول الله غ قال: « **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله،**

---

[66]() سبق تخريجه.

فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[67]. فقد ذكر له النبي ﷺ الأولويات والمهمات التي يجب أن يتبعها.

فعلى الداعية أن يختار ما هو الأهم فالمهم, ففي العقيدة يبدأ بالتوحيد إلى الله قبل غيره, وفي العبادات يبدأ بالفرائض قبل السنن والمستحبات, وبالمحرمات قبل المكروهات, وهكذا في جميع المسائل.

7 ـ التخطيط السليم في الدعوة: إن الدعوة إلى الله كأي عمل آخر تحتاج إلى تخطيط سليم وتدبير دقيق, ويترتب عليه نجاح الدعوة وفشلها بعد إرادة الله تعالى، وكان الرسول غ يسير في دعوته بتخطيط مدروس, وهذا واضح في سيرته الدعوية كلها, بل كان يسير بعناية الله تعالى, فنرى ـ مثلاً ـ واقعة الهجرة, كيف اختار لصحبته رفيقه أبا بكر الصديق ا, واختفاءه في غار ثور الذي في جهة اليمن, وتحريه أخبار قريش, وسلوك طريق الساحل غير المعتاد, حتى وصل إلى المدينة بحفظ الله ثم بتخطيطه السليم بصحة وسلامة. وهكذا يجب أن تسير الدعوة في جميع مشاريعها على مستوى الداعية الفرد، وعلى مستوى الدعوة بأكملها.

8 ـ المحاسبة والتقويم: يلزم للدعوة أن تحاسب نفسها بعد

---

[67]() سبق تخريجه. وينظر ما كتبته عن هذا الحديث في رسالة مستقلة ضمن هذه السلسلة.

كل فترة, وتقوّم أعمالها وأهدافها ومشاريعها بين حين وآخر, هل طرأ على أفرادها كلل أو فتور؟ وهل هم على جادة الصواب أم جانبوها؟ وهل هم مستمرون على المنهج السليم أو اختاروا منهجاً منحرفاً؟ وما الثمار التي اقتطفوها خلال هذه المدة ؟ وما النتائج التي استثمروها في دعوتهم؟.

* * *

فهذه بعض المقومات للدعوة التي ينبغي للداعية والدعوة أن تقوم بها لكي يكتب للدعوة القبول والنجاح، ومن ثم عموم الفائدة للأمة, ويتحقق رضا الله تعالى.

* * *

المبحث السادس :

سمات الداعية

للداعية الجاد سمات وصفات يجب أن يتصف بها، يجمعها: الخُلُق الحسن، ومنها على التفصيل:

1- **الإخلاص:** لا يمكن أن تنجح الدعوة ويصل الداعية إلى هدفه المنشود إلا بالإخلاص لله وحده، لا أجرًا في الدنيا ولا رياءً ولا سمعةً، وإنما طمعًا في ثواب الله وأجره, ويكون شعاره: (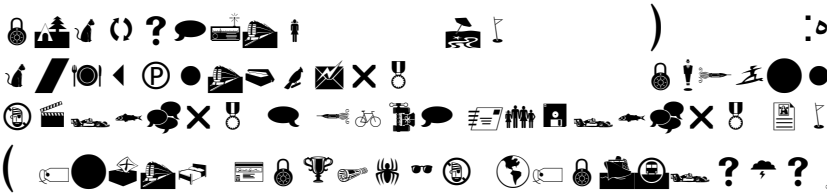) [هود: 51]. وقد تكلمنا عن هذه النقطة فيما سبق.

2- **الصدق:** ليكن الداعية صادقًا في دعوته, وليكن همه الأكبر إيصال هذه الدعوة إلى الناس, بعيدًا عن الغموض والشكوك والشبهات, وهذا ما يعينه على الثبات في دعوته. فدين الله تعالى واضح وجلي وضوح الشمس في رابعة النهار، جاء بالصدق وأمر به، فلا تحمل هذه الدعوة إلا بالصدق، ولا تبلغ إلا بالصدق، ولا تؤدي نتائجها إلا بالصدق، والصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، كما جاء في الحديث عَن شَقِيقٍ عَن عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: **عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ, وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ, وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ**

حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا, وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ, وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ, وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا[68].

3- **محبة الله ورسوله ﷺ:** التي هي رأس العبودية لله سبحانه وتعالى، وهي الزاد الكبير، والوقود العظيم للداعية في طريقه، والداعية والمربي من أعظم المحبين لله تعالى ولرسوله غ، فكلما عظم هذا الحب في القلوب عظم في السلوك، فعلى الداعية أن يكون ثابتًا على استمرار المحبة في جميع الأوقات والأمكنة والأحوال والظروف، لا أن يكون الحب دعوى، أو في وقت دون آخر، فهذا مخادعة للنفس، ومجانبة للطريق، فالمحب ثابت في مبدئه لمن أحبه لا يكون في حال دون حال.

4- **العلم:** سبق معنا أن الدعوة يجب أن تكون قائمة على العلم بالله ورسوله ودينه وشرعه، ومن ثم فالداعية يجب أن تكون دعوته على بينة وعلم بما يدعو إليه، يقول تعالى: ([illegible]) [يوسف: 108]، والذي يدعو بغير علم قد يدعو إلى الشر ويحسبه معروفًا، أو ينهى عن المعروف ويحسبه منكرًا, فليعلم الداعية أن **(لا**

---

[68]() صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) برقم: (6094)، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم: (2607).

أدري) نصف العلم، فلا يقول فيما لا يعلم، والله سبحانه وتعالى قد حرم أن يقول الناس على الله ما لا يعلمون، قال تعالى: ﴿ 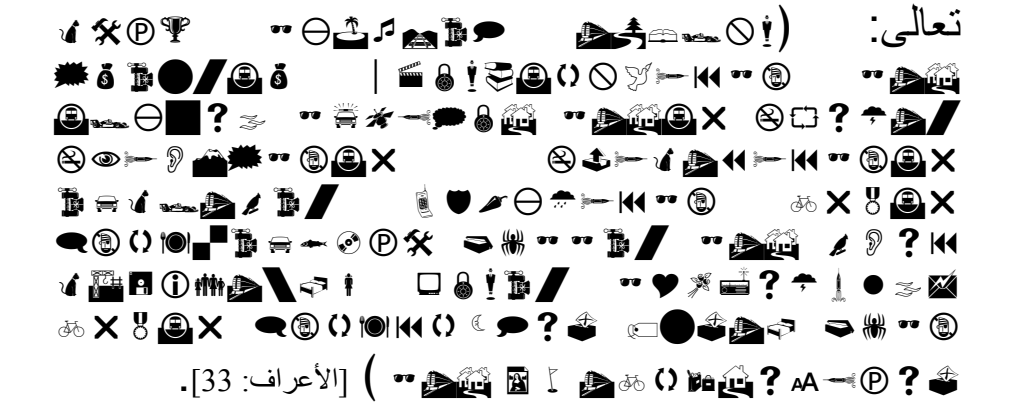 ﴾ [الأعراف: 33].

5- **الحلم والرفق:** إن عملية الدعوة تحتاج إلى كثير من الرفق بالمدعو، وديننا الإسلامي دين المحبة والأخوة، ودين التواد والتراحم، وأشاع هذه الصفة في المجتمع ليسود الود والوئام، وتتفشى الأخوة والترابط، وتعلو السماحة والبشر، وقد تمثلت هذه المعاني في معاملة النبي غ ودعوته وسلوكه، وعلاقاته وارتباطاته حتى شهد الله له تعالى بذلك، قال تعالى: ﴿ ﴾ [القلم: 4] ومما جعل دعوة النبي غ ناجحة كونه غ لينًا هينًا رفيقًا بشوشًا حليمًا، يقول تعالى: ﴿ 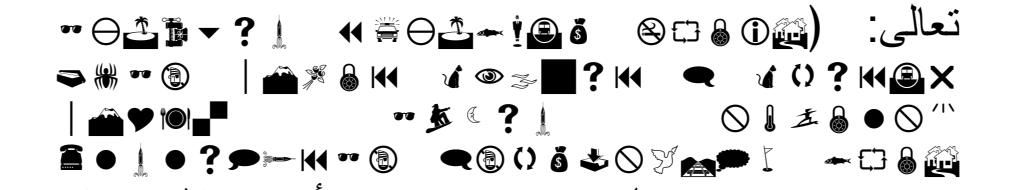 ﴾ [آل عمران: 159]، وقد أوصى الله سبحانه موسى وهارون عليهما السلام بالقول اللين مع فرعون وهو

من أطغى الطغاة، قال تعالى: (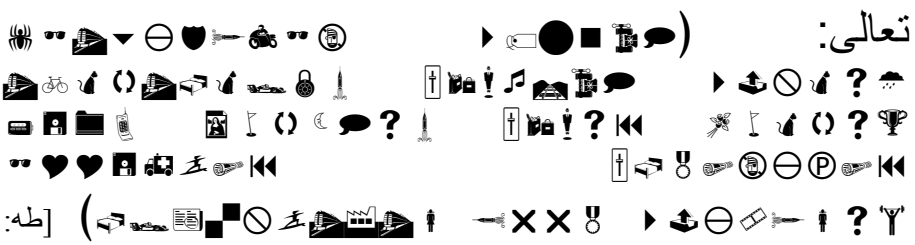) [طه: 43، 44]. فيختار الداعية اللين واللطف في القول والعمل. أما الغلظة والجفاء فلا تكون إلا في حالات نادرة، ولأسباب قد تدعو إلى ذلك كحالة الحرب، ونحو ذلك.

6- **الكرم والجود:** فمن سمات الداعية الناجح أنه من أكرم الناس وأجود الناس، كما جاء عن النبي غ أنه كان أجود الناس وبالأخص في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام لمدارسة القرآن، فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: **كَانَ رَسُولُ الله غ أَجْوَدَ النَّاسِ, وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ, وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ, فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ, فَلَرَسُولُ الله غ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِن الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**[69].

وفي رواية عن جُبَيْرِ بْن مُطْعِمٍ: **أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله غ, وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِن حُنَيْنٍ, فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ, حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ, فَوَقَفَ النَّبِيُّ غ, فَقَالَ: أَعْطُونِي رِدَائِي؛ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ, ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا**[70].

---

[69]() صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، برقم: (6).

[70]() صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الشجاعة في الحرب، برقم: (2821).

وعن أبي هُرَيْرَةَ ا قال: قَالَ رَسُولُ الله غ: **لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ؛ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ**[71]. فيتصف الداعية بهذه الصفة المباركة. ومتى ما أحسن الداعية إلى الناس ازداد قبولاً عندهم،كما قيل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان[72]

7- **كما يجب عليه أن يكون طليق الوجه غير عابس**: فإن طلاقة الوجه تبشر بالخير، ويقبل عليه الناس، والوجه العبوس سبب لنفرة الناس. والطلاقة والبشر من المعروف الذي أمر النبي غ أمته: فعَنْ أَبِي ذَرٍّ t قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ غ: **« لَا تَحْقِرَنَّ مِن الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**[73].

قال النووي: «فِيهِ الْحَثّ عَلَى فَضْل الْمَعْرُوف, وَمَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَإِنْ قَلَّ, حَتَّى طَلَاقَة الْوَجْه عِنْد اللِّقَاء».

8- **الصبر:** إن الداعية قد يواجه في دعوته عدم القبول، وقد يتلقى مقابل دعوته السخرية والاستهزاء، ويعترض عقبات وعراقيل، فالجنة محفوفة بالعقبات والأشواك، وفي الحديث عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

---

[71]() صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب: أداء الدين، برقم: (2388).

[72]() ينظر ما كتبته عن مبدأ الإحسان في رسالة مستقلة: شرح حديث: إن الله كتب الإحسان على كل شيء دراسة حديثية نفسية.

[73]() صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، برقم: (2626).

الله غ: **حُفَّت الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ, وَحُفَّت النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**(74). وفي رواية: **حُجِبَت النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ, وَحُجِبَت الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ**(75). والداعية الناجح هو الذي يصبر على مثل هذه المواقف, ويتحمل الأذى ولا يغضب، لأنه من آثر رضا الله فلا بد أن يعاديه رذالة العالم وسقطهم, وجهالهم, وأهل البدع والفجور, وغيرهم, فليصبر الداعية ويصابر, وليكن قويًا في إيمان لا تزعزعه الرجال, ولا تقلقله الجبال, ولا تحله المحن والشدائد والمخاوف.

وقد أمر الله تعالى نبيه غ بالصبر فقال: (﴿ ﴾ [المزمل: 10]، وقال تعالى: (﴿ ﴾

---

(74) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: صفة الجنة، برقم: (2822).
(75) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات، برقم: (6487).

سورة الحجر: 94-99], وقال تعالى:

[سورة السجدة: 24].

* * *

ويدخل فيه المواصلة والاستمرار في الدعوة مع عدم المبالاة بالاستهزاء, والسخرية, والاتهام, وعدم الاستعجال للنتائج والثمار. فأنت تبني وتزرع وغيرك يقطف كما قطفت ثمار من زرع قبلك, وقد لا ترى ثمار عملك, فليبذل الداعية بما أوتي من جهد في سبيل دعوته، يقول الشاعر :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد

وخير من قول الشاعر قول النبي غ: **«عرضت علي الأمم فجعل يمرّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد »**[76].

9- الهمة العالية: من سمات الداعية أن همته تكون عالية, يختار من كل شيء أعلاه, فيكون في المرتبة العالية في الأوصاف الحسنة, والأعمال الصالحة, فالدين مراتب؛ والله قسم الناس في كتابه على ثلاث مراتب؛ فقال تعالى:

[76]() صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق، برقم: (5752).

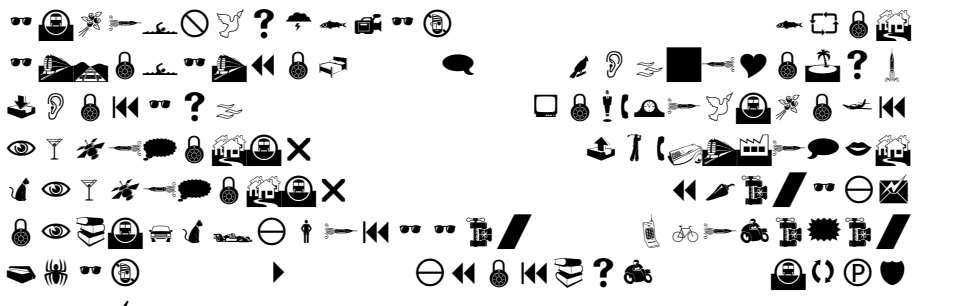

[سورة فاطر: 32] , وأخبر تعالى عن قسمتهم في الآخرة: (

[سورة الواقعة: 7-11]" فليبذل الداعية جهده في أن يكون من السابقين أصحاب الهمم العالية، الذين لا تسقطهم العثرات، وليقتد بالصحابي الجليل ربيعة بن كعب الأسلمي وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سلني**». فقال: «**أسألك مرافقتك في الجنة**». فعن رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: **كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ غ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ, فَقَالَ لِي: سَلْ. فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى**

نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[77].

10- التواضع وعدم الكبر: للداعية في رسول الله غ أسوة حسنة، فقد كان غ متواضعاً يتعاهد الناس ويقوم بحاجاتهم مع عظم مسئولياته، كما جاء في الحديث عَن حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ t عَن النَّبِيِّ غ قَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ؛ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: «إِنْ كَانَت الْأَمَةُ مِن إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله غ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»**[78].

وفي مسند أحمد عن ابنة لخباب قالت: **« خرج خباب في سرية فكان النبي غ يتعاهدنا حتى كان يحلب عنزا لنا، قالت: فكان يحلبها حتى يطفح أو يفيض »** [79].

ومن التواضع قبول النصح من الآخرين ولو كانوا دونه, أو كانت النصيحة من عدوه, فيحسن بالداعية أن يتقبل ذلك, ولا تأخذه العزة بالإثم, قال عمر بن الخطاب ا: **رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي** [80].

وقد حذر الإسلام من الكبر، والكبر: بطر الحق وغمط الناس كما جاء في الحديث: فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ عَن النَّبِيِّ

---

[77]() صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه، برقم: (489).
[78]() صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، برقم: (6072).
[79]() مسند أحمد (6/372).
[80]() ذكره الدارمي في المقدمة في حديث طويل، في رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي (1/160).

غ قَالَ: **لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا, وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ, الْكِبْرُ؛ بَطَرُ الْحَقِّ, وَغَمْطُ النَّاسِ**[81].

وإياك ثم إياك من الكبر واحتقار الآخرين وازدرائهم وتنقصهم, لأن المتكبر كالواقف فوق جبل, لا يدري متى يسقط, وينبني عليه ألا يعظم في عينيك عمل فإنه قد لا يقبل, كما قال تعالى عن الكفار: ([illegible]) [سورة الكهف :103- 106].

11- نظافة الظاهر والباطن: لأن النظافة لها أثر حسن على الإنسان, وقد حث الإسلام على النظافة حيث جعلها

[81]() صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، برقم: (91).

نصف الإيمان، فقال النبي غ: **«... والطهور شطر الإيمان»**[82] .

قَالَ النَّوَوِيُّ. اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ فَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَجْرَ فِيهِ يَنْتَهِي تَضْعِيفُهُ إِلَى نِصْفِ أَجْرِ الْإِيمَانِ, وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ مِن الْخَطَايَا وَكَذَلِكَ الْوُضُوءُ إِلَّا أَنَّ الْوُضُوءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ فَصَارَ لِتَوَقُّفِهِ عَلَى الْإِيمَانِ فِي مَعْنَى الشَّطْرِ[83].

وقد أمر الله نبيه بتطهير ثيابه, فقال تعالى: (⊖ [illegible]) [سورة المدثر: 4-5].

وكما أن الداعية نظيف القلب سالم من الحسد والحقد، والبغض والكره، فهو نظيف الظاهر، فباطنه وظاهره سواء كالثوب الأبيض، ومتى كان كذلك عظم أجره وثوابه، وازداد قبولاً عند المدعوين.

12- **التوازن بين المتطلبات العقلية والروحية والجسمية,** في البيت, والشارع, والميدان, والمدرسة، فرسول الله غ كان يشارك أهله، ويقود الجيش, ويقوم الليل, وهكذا في جميع الأمور، فلنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة. وينبني عليه عدم الغلو أو التقصير, أو الإفراط أو التفريط، كما قال تعالى عن صفات عباده: ([illegible])

---

[82]() صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء, برقم: (223).
[83]() شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، (المجلد الأول)، 1/100.

[illegible] [سورة الفرقان: 67]. فيجتنب الإفراط والتفريط في الدعوة، فلا يقصر ولا يتجاوز الحد، والطريق الوسط هو المطلوب في جميع الأمور، وكما نعلم أن خير الأمور أوساطها.

وهذه قاعدة عظيمة: - أعني التوازن - فلا يسرف على نفسه في جانب ويهمل جانبًا آخر، كمن يحرص على الدعوة، ويهمل كثيرًا من السنن، أو يدعو الآخرين وينسى أسرته، أو يهتم بطلب العلم والقراءة متناسيًا صلاته وخشوعه ودعاءه وقراءته، وهكذا.

13- **أن يصفي الداعية والمربي قلبه من كل شائبة فيكون شعاره العميق في نفسه: (المحبة)** المحبة للآخرين، يحب الخير لهم، ويكره الشر أن يصيبهم، يحب ولا يبغض، محبة يظهر أثرها على أقواله، ويتصورها الناظر في أفعاله.

وأن يجلي المربي والداعية هذه المحبة في علاقاته مع الآخرين سواء حال الدعوة، أو حال التعامل العام فلا يفصل بين سلوك وآخر، ولا بين حال وأخرى, وأن يتمثل تلك المحبة برنامجاً عملياً في حياته فيكون خلقاً له لا تخلقاً ولا تصنعاً، وأن يدلل على محبته لهم فيما يظهر عليه من سلوك وتصرفات، ولا يبتغي من وراء ذلك جزاءً ولا شكورًا إلا من الله سبحانه وتعالى. فليعي هذا المربون والدعاة.

14- **أن لا يناقض قوله فعله:** من المهم للداعية أن لا يكون ممن يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم, فإن هذه

خصلة ذميمة قال تعالى: ([سورة الصف :2-3], وكما أنكر تعالى على بني إسرائيل: ([سورة البقرة:44], فالتناقض بين القول والفعل علامة على ضعف المحبة لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام.

15- **اختيار أقوى الطرق تأثيرًا إلى قلب المدعو** وقد أشير إلى بعضها في هذه الآية الكريمة، قال تعالى: ([سورة النحل :125]

فأمر الله نبيه ﷺ أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق, ولين, وحسن خطاب، كما قال تعالى: (

[سورة العنكبوت: 46]

16- **العمل بالحكمة** بمعرفة المكان والزمان والحال التي يمارس فيها الدعوة، فالحكمة وضع الشيء في موضعها، فكل ذلك يعين على نجاح دعوته، والسير فيها سيراً حسناً. وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بها، فقال تعالى: (

[سورة النحل: 125].

ومن الحكمة: اختيار الوقت المناسب للدعوة، وهذا ما نجده في قصة يوسف حين جاءه الفتيان وقصا عليه رؤياهما واستفسرا التعبير, فاغتنم الفرصة ودعاهما إلى التوحيد والبراءة من الشرك قبل أن يخبرهما بالتعبير. قال تعالى: (

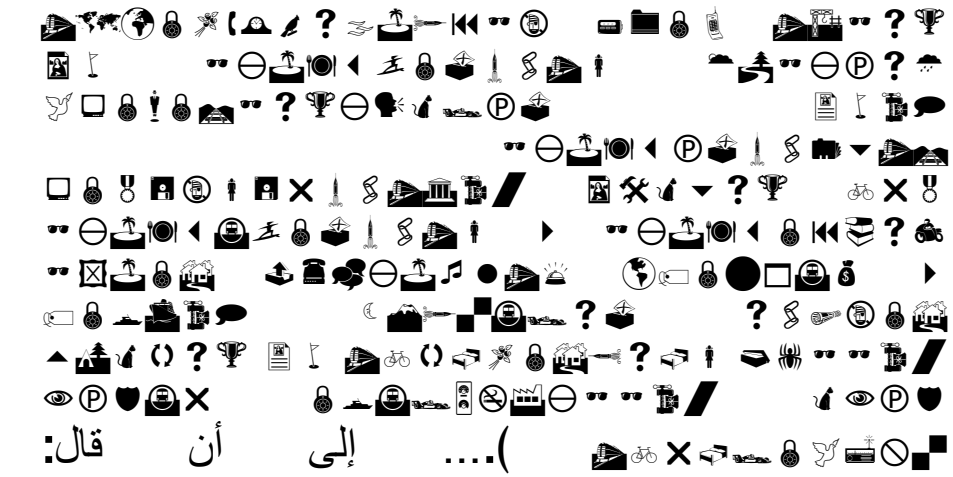

إلى أن قال:

)....

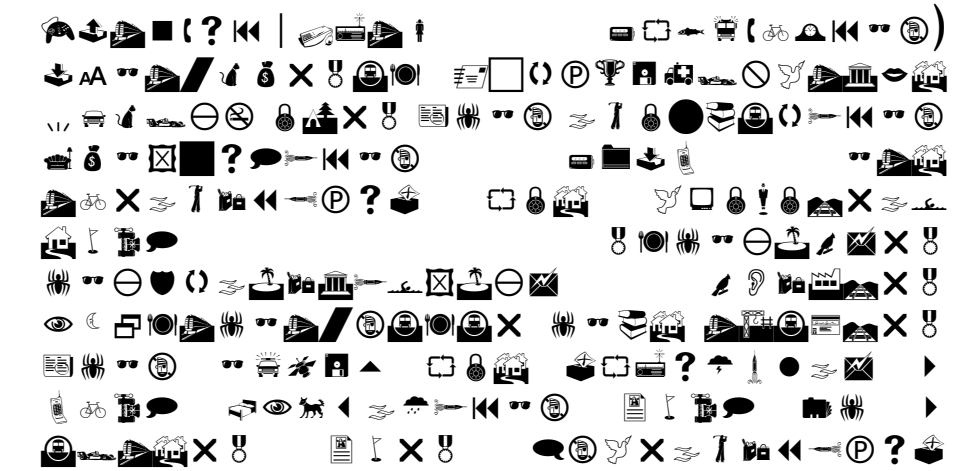

), لما فرغ من الدعوة إلى التوحيد أخبرهما بتعبير رؤيا هما, فقال: (

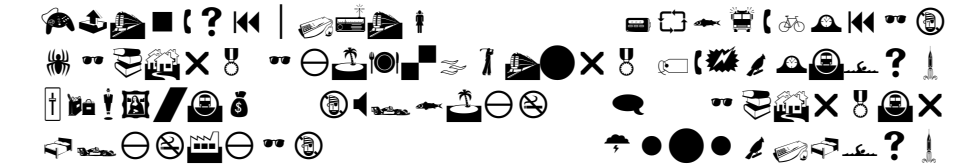

[illegible])[سورة يوسف: 36-41].

ومنها: اختيار المكان المناسب للدعوة، كما كان النبي غ يختار المسجد لتوجيه الصحابة إلى الخير, فيختار الداعية لدعوته المسجد, أو مكاناً هادئاً, بعيدًا عن الأسواق والشوارع التي فيها شغب وصخب ونحو ذلك.

ومنها: اختيار الموضوع المناسب للدعوة, لأن لكل فنٍ رجالاً, ولكل مقامٍ مقالاً, فيختار الموضوع المناسب للمقام, حتى لا يثقل على المدعوين, وبالتالي يفقد استجابتهم لكلامه.

ومنها: مراعاة أحوال المدعوين, هل هم الجمهور من العوام, أو النخبة المثقفة منهم، أو من الطلاب, أو الطالبات, أو الأطباء, أو الدعاة وهكذا. فيلزم الداعية إعطاء كل ذي حق حقه، في نوعية الخطاب والكلام، فالرجال يختلفون عن النساء، والصغار يختلفون عن الكبار، وهكذا.

ومنها: تنوع البرامج: البرامج الدعوية إذا كانت على نمط واحد فإن المدعو قد يمل، لذا لا بد من تقديم البرامج المتنوعة، إذا كانت البرامج متنوعة تشد انتباه المستمعين، وتترك أثرًا عميقًا في قلوبهم ومن ثمّ على سلوكهم. وأن تكون على فترات متباعدة مخافة السآمة كما جاء في الحديث عَن أَبِي وَائِلٍ قَالَ: **كَانَ عَبْدُ الله يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ, فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِن ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ, وَإِنِّي**

أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ غ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا (84).

قال النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيث: الِاقْتِصَاد فِي الْمَوْعِظَة, لِئَلَّا تَمَلّهَا الْقُلُوب فَيَفُوت مَقْصُودهَا (85).

ومنها: تقدير المصالح والمفاسد الشرعية، فيعمل للمصالح وتكثيرها، ويدرأ المفاسد ويقللها. وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الشرع، وأصل عظيم من أصوله، فيتنبه إليه.

وقد ترك النبي غ بعض الأشياء مراعاة المصلحة العامة، فعلى سبيل المثال هدم الكعبة وبناؤها من جديد على قواعد إبراهيم عليه السلام، **فعَنْ عَائِشَةَ ل زَوْجِ النَّبِيِّ غ أَنَّ رَسُولَ اللهِ غ قَالَ لَهَا: أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَن قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ, فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ** (86) الحديث.

يقول السندي: (لَوْلَا حِدْثَان) الْمَشْهُور كَسْر الْحَاء وَسُكُون الدَّال، وَقِيلَ: يَجُوز بِالْفَتْحَتَيْنِ، أَيْ لَوْلَا قُرْبُ عَهْدهمْ بِالْكُفْرِ، يُرِيد أَنَّ الْإِسْلَام لَمْ يَتَمَكَّن فِي قُلُوبهمْ، فَلَوْ هُدِمَتْ لَرُبَّمَا نَفَرُوا مِنْهُ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ تَغْيِيره عَظِيمًا(87).

وكذلك أمرُ قتل عبد الله بن أُبيّ مع أنه آذى النبي غ في

---

(84) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: من جعل لأهل العلم أيامًا معلومةً, برقم: (70)، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: الاقتصاد في الموعظة برقم (2821).

(85) شرح صحيح مسلم للنووي، (المجلد السادس) (71/164).

(86) صحيح البخاري ، كتاب الحج، باب: فضل مكة وبنيانها, برقم: (1583).

(87) شرح سنن النسائي للسندي، المجلد الثالث، 5/ 214.

كثير من المواقع وبالأخص في حادثة الإفك، ورجع في غزوة أحد مع ثلاثمائة من أصحابه، ومع ذلك لم يقتله لمصلحة الدعوة, وقد استأذن ابنه عبد الله في قتله فنهاه، فعن أبي هريرة t قال: **مَرَّ رسُولُ الله** صلى الله عليه وسلم **عَلَىٰ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولٍ، وَهُوَ فِي ظِلِّ أَجَمَةٍ، قَالَ: قَدْ غَبَّرَ عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَئِنْ شِئْتَ لآتِيَنَّكَ بِرَأْسِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله** صلى الله عليه وسلم **:« لَا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ، وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ»**[88].

* * *

هذه بعض مواضع الحكمة التي يجب على الداعية أن يفقهها ويتعامل بمقتضاها ليصل إلى هدفه المنشود، وتلك بعض الخصال التي إذا اتصف بها الداعي أصبح داعية حقاً إلى الله بعمله قبل أن يكون بكلامه، فيؤتى أجره على ما يقدم للدعوة، ويحوز رضا الرب تبارك وتعالى في دنياه وآخرته، جعلني الله وإياكم كذلك.

* * *

[88]() المعجم الأوسط للطبراني، 1 / 80 ،برقم :(229)، وذكره الهيثمي، كتاب: علامات النبوة، باب: في عبدالله بن عبدالله بن سلول، برقم :(15761)، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

المبحث السابع:

الوسائل المناسبة والأساليب المفيدة في الدعوة

الوسيلة: القربة, توصل إليه: تقرب إليه, وهي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود, وفي المجال الدعوي؛ هي الطريقة التي توصل بها الدعوة. أو هي ما يستعين بها الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر[89].

والأسلوب: عرض ما يراد عرضه من أفكار ومعاني وقضايا.

ثم هل هي توقيفية, أو اجتهادية؟ فيه تفصيل: إن أريد بالوسائل المنهج كضرورة البدء بالعقيدة, ونبذ الشرك, فهنا تكون توقيفية.

وإن أريد الأساليب والطرق فهي اجتهادية حسب الدليل والقواعد الشرعية. فالرسول غ قام بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل المختلفة, والأساليب المتنوعة, فيجب على الداعية اتخاذ هذه الوسائل المفيدة, والسير على تلك القواعد الدعوية المهمة, التي سار عليها النبي غ, لكي تؤتي ثمارها. ويقيس ما جدّ منها عليها.

- أولاً: وسائل التبليغ :

أ- التبليغ بالقول: القول هو الأكثر في تبليغ الدعوة إلى الله, وله أهمية بالغة, فالقرآن كلام رب العالمين، وهو قوله

[89]() ينظر: كتاب أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص: 429.

تبارك وتعالى، نزل به الروح الأمين على نبينا محمد غ كما قال تعالى: (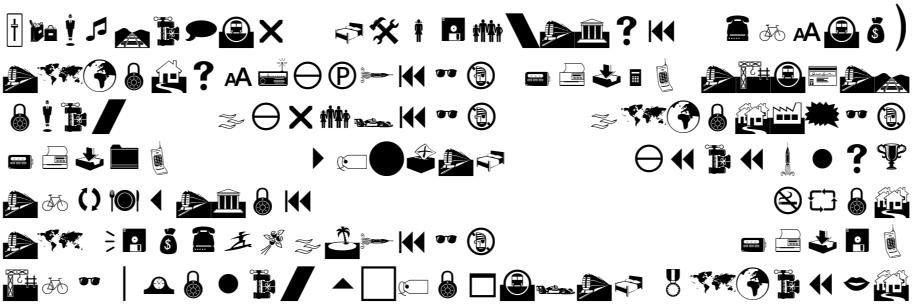) [سورة الشعراء: 192-195], فأكثر ما استعين به للدعوة في الكتاب والسنة أسلوب القول.

* * *

ولابدَّ أن يكون القول واضحًا مفهومًا خاليًا من الغموض والإبهام, لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى المدعو, ولهذا أنزل القرآن بلسان عربي مبين, وكان النبي غ أفصح العرب, يتكلم كلامًا فصيحًا مفهومًا يفهمه كل سامع، كما جاء في الحديث: عَن عَائِشَةَ ل قَالَتْ: **كَانَ كَلَامُ رَسُولِ الله غ كَلَامًا فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَن سَمِعَهُ**[90].

وما أرسل من نبي إلا بلسان قومه, ليكون أدعى إلى فهم قومهم, كما قال تعالى: ([سورة إبراهيم: 4].

كما يجب على الداعي أن يختار الكلمات الواضحة في

---

[90]() سنن أبي داود، كتاب الأدب ،باب: الهدي في الكلام, برقم: (4839).

الدلالة, ويجتنب الكلمات التي تحتمل معاني حقة وباطلة, كما كان اليهود يستعملونها, وقد أشار القرآن إلى هذا في قوله تعالى: ([سورة النساء: 46], وأمر المؤمنين أن يحذروا من هذه الكلمات, فقال تعالى: ([سورة البقرة: 104].

وعلى الداعي أن يتلطف بالقول، فيستعمل في كلامه ما يرغب المدعو إلى استماع كلامه, كما قال تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام: (

[سورة طه: 44])

وكما خاطب إبراهيم عليه السلام أباه: (

[سورة مريم: 41-45].

فهذا الأسلوب غاية في التطلف والتلين في القول, فاستعمل إبراهيم عليه السلام رابطة الأبوة التي من شأنها أن تجعل الابن حريصاً على مصلحة الأب, وتجعل الأب جديرًا بأن يصغي إلى خطاب ابنه.

ولكن التلطف في القول لا يعنى المداهنة, أو النفاق, أو إبطال الحق, أو إحقاق الباطل, وإنما هو تشويق للمدعو

لقبول الحق وإعانته على القبول.

أنواع القول: وللقول في المجال الدعوي أنواع؛ منها: الخطبة, والدرس, والمحاضرة, والمناقشة, والنصيحة الفردية وغيرها[91].

● فالخطبة تكون عادةً لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي أو يعرف بعضهم, ويستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس. ويستعمل الآداب التي ذكرها العلماء للخطبة حتى تعم الفائدة المرجوة منها.

● والدرس في الغالب يكون شرحاً لآية من القرآن, أو لحديث النبي غ, أو بياناً لمسألة من المسائل,كما يحضره عدد قليل من الناس جاءوا قاصدين سماع الدرس. فهذه فرصة ذهبية للداعي لإيصال كلامه.

● والمحاضرة تعالج موضوعاً معيناً باستقصاء وإحاطة مع ذكر الأدلة والبراهين, والمحاضرة الناجحة تهدف إلى هدف معين ومحدد, فيجب على المحاضر أن يكون دقيقاً في كلامه مع اختيار أسلوب منطقي لتقديم المعلومات.

● والمناقشة والجدل يكونان بين شخصين أو أكثر, يعرض كل جانب وجهة نظره فيما يراه ويعتقده من أمور. فعلى الداعي أن يعرض وجهة نظره بأسلوب جذاب, وبالأدلة المقنعة, وهذا الأسلوب عادة يجذب انتباه المدعو، وينتج منه قبول المدعو للحق. ولكن في بعض الأحيان لا ينفع الجدال والمناقشة الحسنة, لأنهم لا يريدون من جدالهم الوصول إلى

---

[91]() ينظر: كتاب أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص: 452-460.

الحق, بل يريدون المكابرة والعناد, كما قال تعالى: ([illegible] [سورة الأنعام: 7], فعندئذٍ يحسن للداعي أن يقطع الجدل معه, ويذكر قول الله تعالى: ([illegible]) [سورة الكهف: 29].

ب- التبليغ بالكتابة:

من وسائل التبليغ, التبليغ بالكتابة؛ والكتابة **إما أن تكون كتابة رسائل** إلى المدعوين لدعوتهم إلى الدخول في الإسلام, أو إلى الصلاح من الفسوق والفجور والمعاصي وغيرها، كما كتب سليمان إلى ملكة سبأ، وأرسله مع الطائر الهدهد, فجاء ذكره في القرآن، فقال تعالى: ([illegible]

[سورة النمل: 28-31].

وكما كتب النبي غ إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام، فكتب إلى هرقل: فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ بأَنَّ رَسُولَ الله غ كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَمَرَهُ رَسُولُ الله غ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ....وفِيهِ: **« بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, مِن مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ, سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى, أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ, أَسْلِمْ تَسْلَمْ, وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ, فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ, وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»**[92].

وعن عَبْدِ الله أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ الله غ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ الله بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ, فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ, فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى, فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ. فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله غ: أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ[93].

---

[92]() قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه, في كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي غ الناس, برقم: (2941).

[93]() صحيح البخاري, كتاب المغازي، باب: كتاب النبي غ إلى كسرى وقيصر, برقم: (4424).

وذكر ابن حجر نقلاً عن الطبراني وعن أصحاب السير أن النبي غ بَعَثَ عَبْد الله بْن حُذَافَة إِلَى كِسْرَى, وَسَلِيط بْن عَمْرو إِلَى هَوْذَة بْن عَلِيّ بِالْيَمَامَةِ, وَالْعَلَاء بْن الْحَضْرَمِيّ إِلَى الْمُنْذِر بْن سَاوَى بِهَجَر, وَعَمْرو بْن الْعَاصِ إِلَى جَيْفَر وَعَبَّاد اِبْنَيْ الْجَلَنْدِيّ بِعَمَّان, وَدِحْيَة إِلَى قَيْصَر, وَشُجَاع بْن وَهْب إِلَى اِبْن أَبِي شَمِر الْغَسَّانِيّ, وَعَمْرو بْن أُمَيَّة إِلَى النَّجَاشِيّ, والْمُهَاجِر بْن أَبِي أُمَيَّة بْن الْحَارِث بْن عَبْد كَلَال، وَحَرِيرًا إِلَى ذِي الْكُلَاع, وَالسَّائِب إِلَى مُسَيْلِمَة, وَحَاطِب بْن أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى المُقَوْقِس(94).

كما أن الدعوة بالكتابة تكون بتأليف الكتب, وإعداد البحوث والمقالات، ونشرها في المجلات وغيرها, وترجمتها إلى لغات العالم. وهي من الوسائل المفيدة جداً في الدعوة, فيجب على الداعي أن يخاطب الناس في كتبه على وجه العموم, وبأسلوب بسيط واضح يفهمه كل الناس. وتأليف الكتب من الأعمال النافعة، ويكتب لصاحبها الأجر حتى بعد مماته, لأنه من العلم النافع الذي يفيد الإنسان حتى بعد موته, كما جاء في الحديث: عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ا أَنَّ رَسُولَ الله غ قَالَ: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثة: إِلَّا مِن صَدَقَة جَارِيَة, أَوَ عِلْم يُنْتَفَعُ بِهِ, أَوَ وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ»**(95).

ج- التبليغ بالفعل(بالقوة): وهذا لمن له سلطة على

94() ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني, 8/128.

95() صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته برقم: (1631).

الآخرين, فإذا رأى منكرًا فيمن تحت يده, منعهم بالقوة, وأزال المنكر, كما جاء في الحديث: عَن طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَوَّلُ مَن بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ, فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ, فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ, فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ, سَمِعْتُ رَسُولَ الله غ يَقُولُ: مَن **رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ, فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ, فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** (96).

قال النووي: قَالَ الْقَاضِي عِيَاض :: «هَذَا الْحَدِيث أَصْل فِي صِفَة التَّغْيِير, فَحَقُّ الْمُغَيِّر أَنْ يُغَيِّرهُ بِكُلِّ وَجْه أَمْكَنَهُ زَوَاله بِهِ قَوْلًا كَانَ أَوْ فِعْلًا ; فَيَكْسِر آلَات الْبَاطِل, وَيُرِيق الْمُسْكِر بِنَفْسِهِ, أَوْ يَأْمُر مَن يَفْعَلهُ, وَيَنْزِع الْغُصُوبَ وَيَرُدَّهَا إِلَى أَصْحَابهَا بِنَفْسِهِ, أَوْ بِأَمْرِهِ إِذَا أَمْكَنَهُ وَيَرْفُق فِي التَّغْيِير جَهْده بِالْجَاهِلِ وَبِذِي الْعِزَّة الظَّالِم الْمَخُوف شَرّه ; إِذْ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى قَبُول قَوْله. كَمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُون مُتَوَلِّي ذَلِكَ مِن أَهْل الصَّلَاح وَالْفَضْل لِهَذَا الْمَعْنَى. وَيُغْلِظ عَلَى الْمُتَمَادِي فِي غَيّه, وَالْمُسْرِف فِي بَطَالَته; إِذَا أَمِنَ أَنْ يُؤَثِّر إِغْلَاظُه مُنْكَرًا أَشَدّ مِمَّا غَيَّرَهُ لِكَوْنِ جَانِبه مَحْمِيًّا عَن سَطْوَة الظَّالِم. فَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنّه أَنَّ تَغْيِيرَهُ بِيَدِهِ يُسَبِّبُ مُنْكَرًا أَشَدّ مِنْهُ مِن قَتْله أَوْ قَتْل غَيْره بِسَبَبٍ كَفَّ يَدَهُ, وَاقْتَصَرَ عَلَى الْقَوْل بِاللِّسَانِ وَالْوَعْظ وَالتَّخْوِيف. فَإِنْ خَافَ أَنْ يُسَبِّب قَوْله مِثْل ذَلِكَ غَيَّرَ بِقَلْبِهِ, وَكَانَ فِي سَعَة, وَهَذَا هُوَ الْمُرَاد بِالْحَدِيثِ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى وَإِنْ وَجَدَ مَن يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ اِسْتَعَانَ مَا لَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إِلَى

(96) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان, برقم: (49).

إِظْهَار سِلَاحٍ وَحَرْبٍ,
وَلْيَرْفَع ذَلِكَ إِلَى مَن لَهُ الْأَمْر إِنْ كَانَ الْمُنْكَر مِن غَيْره, أَوْ يَقْتَصِر عَلَى تَغْييره بِقَلْبِهِ. هَذَا هُوَ فِقْه الْمَسْأَلَة, وَصَوَاب الْعَمَل فِيهَا عِنْد الْعُلَمَاء وَالْمُحَقِّقِينَ خِلَافًا لِمَنْ رَأَى الْإِنْكَار بِالتَّصْرِيحِ بِكُلِّ حَالٍ وَإِنْ قُتِلَ وَنِيل مِنْهُ كُلّ أَذَى. هَذَا آخِر كَلَام الْقَاضِي :([97]).

د- التبليغ بالعمل: ونقصد به إقامة مشروع دعوي من بناء مسجد, أو مدرسة, أو مكتب دعوي, أو مركز إسلامي, وهكذا. فالنبي غ كان يلقي الدروس في المسجد, ويلقى الوفود فيه، ويوجه الصحابة منه, فبناء مثل هذه المشاريع من الوسائل المفيدة للدعوة.

هـ - التبليغ بالقدوة: من الوسائل المهمة الدعوية التبليغ بالقدوة, فالسيرة الطيبة للداعية, وأفعاله الحميدة, وأخلاقه الحسنة؛ أسوة طيبة، وقدوة نموذجية لغيره من المدعوين, ودعوة عملية للإسلام, لأن التأثر بالأفعال, أبلغ من التأثر بالكلام. وإن الإسلام انتشر في كثير من بلاد العالم بالسيرة الحسنة للمسلمين, وكانت سيرهم دعوة صامتة إلى الإسلام. وكان النبي غ داعياً بالقدوة كما كان داعياً بالقول والعمل, ولذا أمر الله تعالى الأمة التأسي به, كما قال تعالى:

(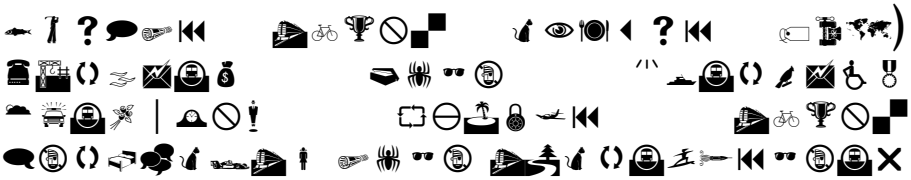

---

[97]() شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد الأول، 2/25.

﴿ × ? ﴾ [سورة الأحزاب: 21]، والنبي غ يحث أمته على الاقتداء به، فقال عن الصلاة: **صلوا كما رأيتموني أصلي**.كما جاء في الحديث: عَن أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ: **أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ غ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ, فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً, وَكَانَ رَسُولُ الله غ رَحِيمًا رَفِيقًا, فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا, سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا. فَأَخْبَرْنَاهُ. قَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ, فَأَقِيمُوا فِيهِمْ, وَعَلِّمُوهُمْ, وَمُرُوهُمْ, وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا, وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي, فَإِذَا حَضَرَت الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ, وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**[98].

وقال في الحج: **خذوا عني مناسككم** فعن عن جَابِرt قال: **رَأَيْتُ النَّبِيَّ غ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ »**[99].

وفي مسند أحمد عَن جَابِرt قَالَ: **«دَفَعَ رَسُولُ الله غ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ, وَأَوْضَعَ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ, فَأَرَاهُمْ مِثْلَ حَصَى الخَذْفِ, وَأَمَرَهُمْ بِالسَّكِينَةِ, وَقَالَ: لِتَأْخُذْ أُمَّتِي مَنْسَكَهَا, فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاهُمْ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا»** [100].

خلاصة الكلام في هذا الباب أن يكون الداعي صاحب خلق طيب، كما قال تعالى عن نبيه: ﴿ ×

---

[98]() صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة, برقم: (631).
[99]() صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، برقم: (1297).
[100]() مسند أحمد، برقم: (3/335).

[سورة القلم: 4], وقالت عائشة ل: كان خلقه القرآن, حينما سئلت عن خلق النبي غ؛ فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: **أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ الله غ. قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ, أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ:**

الحديث [101]. وقَالَ رَسُولُ الله غ: **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»**[102] .

وأن لا يخالف فعله قوله, لأن موافقة العمل للقول من أوصاف عباد الله المتقين, وإن النفوس البشرية مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولهذا حذر الله المؤمنين من مخالفة فعلهم لقولهم، فقال تعالى:

[سورة الصف: 2-3], ولهذا قال شعيب لقومه:

---

[101] () مسند أحمد، برقم: (6/91).
[102] () مسند أحمد، برقم: (2/381).

[سورة هود: 88], فليحرص الداعية على موافقة العمل للقول، لأن هذا أدعى للقبول.

* * *

❐ ثانياً: أساليب الدعوة:

وأساليب الدعوة المذكورة في الكتاب والسنة كثيرة، وفيما يلي من السطور نستعرض بعضها.

أ- أسلوب الترغيب: والقصد من الترغيب استعمال كل ما يشوق إلى الاستجابة, وقبول الحق, والثبات عليه, لنيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة, وهذا الأسلوب قد استعمل كثيراً في النصوص الشرعية، كما قال تعالى: ([سورة الرعد: 35], وقال تعالى في موضع آخر: (

[سورة محمد: 15].

وفي الحديث القدسي: قَالَ رَسُولُ الله غ: قَالَ الله: **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ, وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ, فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** (

(103).

وفي الحديث المروي عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ا عَن النَّبِيِّ غ قَالَ: يَقُولُ الله تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ, فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ, قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ, قَالَ: مِن كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ, وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا, وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى, وَمَا هُمْ بِسُكَارَى, وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ, قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ, قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ

---

(103) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة, برقم: (3244).

وَمَأْجُوجَ أَلْفًا, ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ, فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ, فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ, فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ, أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ[104]. هذا الحديث جامع لأسلوب الترغيب والترهيب معاً.

ب- أسلوب الترهيب: نقصد بالترهيب التخويف من غضب الله وبطشه وعقابه وعذابه في الآخرة, وهذا الأسلوب أيضاً استخدم كثيرًا في الكتاب والسنة. فكما بين تعالى حقيقة الدنيا في قوله جل وعلا: (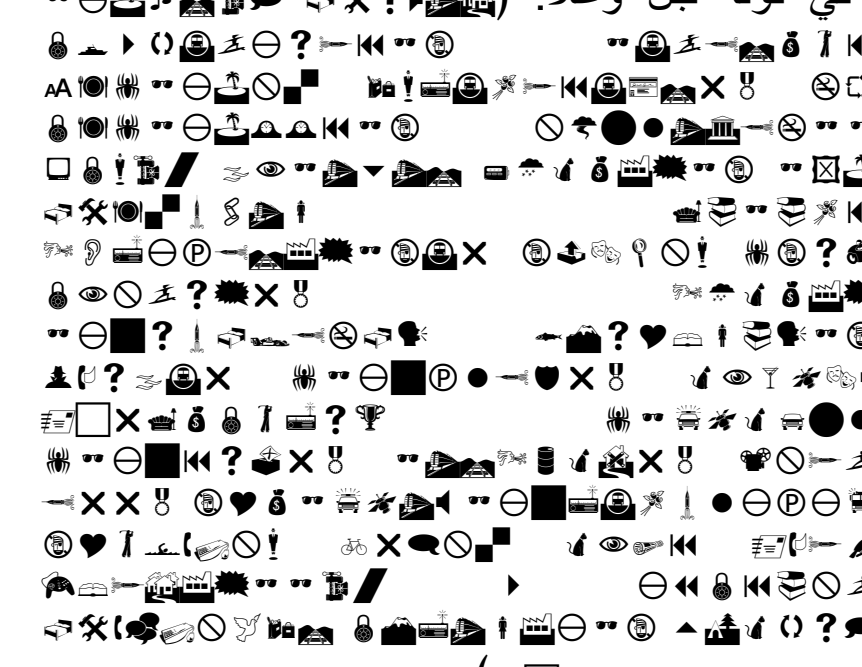) [سورة يونس: 24].

[104]() صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج, برقم: (3348).

وبين عقاب المجرمين في الآخرة في قوله تعالى: (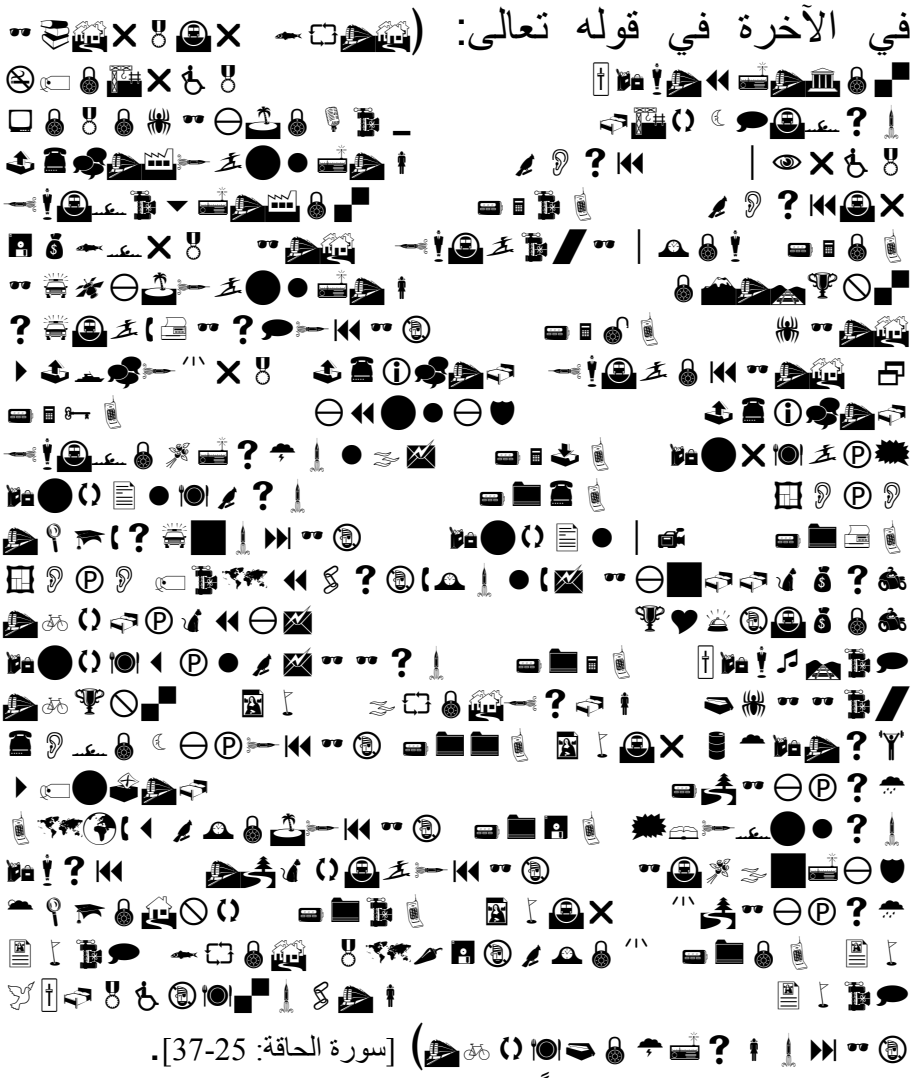) [سورة الحاقة: 25-37].

وقال تعالى مبينًا جزاء المعرضين عن ذكره: (

حديث «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم»

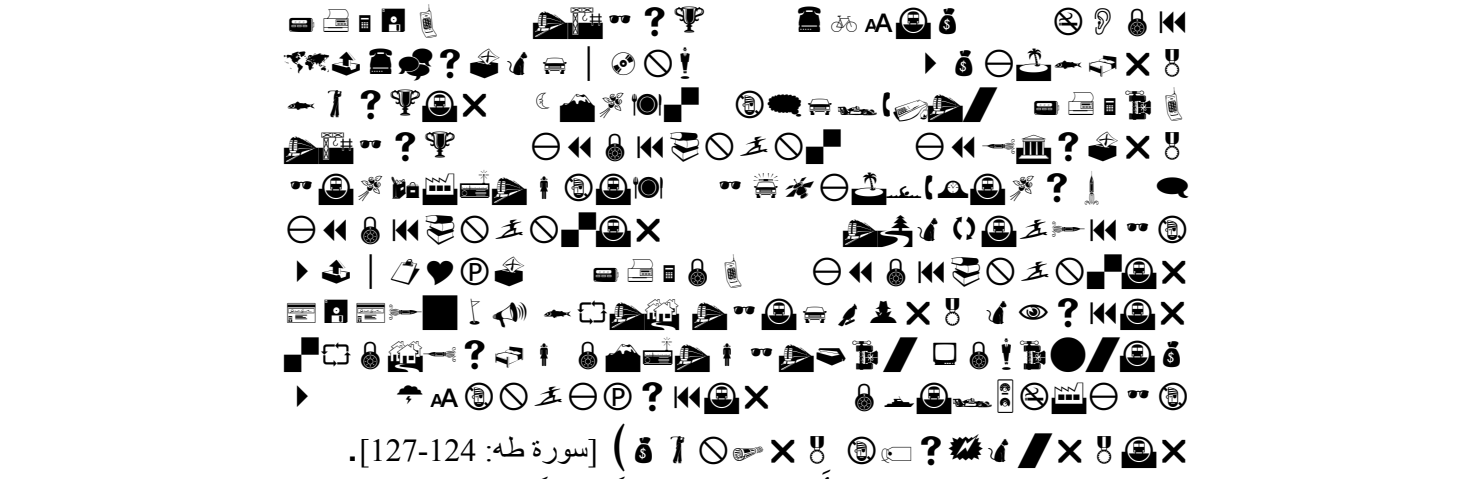

[سورة طه: 124-127].

وفي الحديث: عَن أَبِي مُوسَى t قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: **إِنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ, قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:**

(105).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ t عَن رَسُولِ الله غ قَالَ: **إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ, وَقَالَ اقْرَءُوا:**

(106).

---

(105) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله:

), برقم: (4686). والآية من سورة هود: 102.

(106) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله:

وكما حذر النبي غ من الإفراط في حقوق العباد في حديث رواه أَبو هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ غ قَالَ: **تَدْرُونَ مَن الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ الله مَن لَا لَهُ دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ: الْمُفْلِسُ مِن أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَن يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ, وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا, وَقَذَفَ هَذَا, وَأَكَلَ مَالَ هَذَا, وَضَرَبَ هَذَا, فَيُقْعَدُ, فَيَقْتَصُّ هَذَا مِن حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِن حَسَنَاتِهِ, فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِن خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**[107].

فهذا الأسلوب يحذر العباد من عاقبة عصيان الخالق, أو التفريط في حقوق العباد، والداعية الحصيف هو الذي يجمع بين الترغيب والترهيب كما جمع الله تعالى ذلك في القرآن، ولا يطغى أسلوب على آخر، فإن طغى الترغيب تساهل الناس في المعاصي، وإن طغى الترهيب أيس الناس وقنطوا من رحمة الله، والموفق من جمع بينهما.

ج- أسلوب التعليم: إن العلم ضروري لكل فرد من أفراد المجتمع، وبالأخص للمسلمين الجدد, فإذا حصلت الاستجابة من المدعو وقبل الدعوة، وجب على الداعي أن يعلمه بما يحتاج من علم شرعي للقيام بمسؤولياته, فقد ثبت عن النبي غ أنه حينما أسلم عمير ابن وهب قال لأصحابه: (**فقهوا**

×□ ?▪▪▪■■●◢), برقم: (4729). والآية من سورة هود: 102.

[107]() مسند أحمد (2/303).

أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن)([108]) .

وقد ثبت في السنة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل مصعب بن عمير إلى المدينة لكي يدعو الناس إلى الإسلام ويعلم مسلميهم, فعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ب قَالَ: **أَوَّلُ مَن قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ, فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ, ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِن أَصْحَابِ النَّبِيِّ غ, ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ غ؛ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ الله غ, حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ الله غ. فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ: ([illegible]) فِي سُوَرٍ مِن الْمُفَصَّلِ**([109]).

وكما أرسل وفدًا من الصحابة كانوا يسمون «القراء» إلى رعل وذكوان وبني لحيان لتعليمهم، ولكنهم غدروا بهم فقتلوهم، **فعَنْ أَنَسٍ ا أَنَّ النَّبِيَّ غ أَتَاهُ رِعْلٌ وَذَكْوَانُ وَعُصَيَّةُ وَبَنُو لَحْيَانَ, فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا, وَاسْتَمَدُّوهُ عَلَى قَوْمِهِمْ, فَأَمَدَّهُم النَّبِيُّ غ بِسَبْعِينَ مِن الْأَنْصَارِ. قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُسَمِّيهِم الْقُرَّاءَ يَحْطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ, فَانْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا بِئْرَ مَعُونَةَ غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ, فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ. قَالَ قَتَادَةُ: وَحَدَّثَنَا أَنَسٌ: أَنَّهُمْ قَرَءُوا بِهِمْ قُرْآنًا: أَلَا بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا بِأَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ بَعْدُ** ([110]).

---

[108]() السيرة النبوية لابن هشام, 2/308.

[109]() صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: مقدم النبي غ وأصحابه، برقم: (3925).

[110]() صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: العون بالمدد، برقم: (3064).

د - أسلوب التربية: إن هذا الأسلوب يندرج فيما قبله ولكن ذكرناه مفردًا لأهميته، فنذكره بشيء من التفصيل. فمن التربية:

- التربية بالحدث: بمعنى أن الإنسان تمر عليه أحداث ووقائع، فينبغي للداعي أن يستغلها للتربية، ومن ذلك التزود بالصبر والتقوى الذين هما عدة المؤمن للتغلب على الصعاب, فقد سار النبي غ وأصحابه على هذا في غزواته، فمثلاً في غزوة بدر ابتلي الصحابة ابتلاءً شديداً حيث هم خرجوا لمقابلة العير, أي: عير أبي سفيان، ولكن وجدوا الموقف موقف حرب، فثبتوا في هذا الابتلاء وحازوا رضا الرب تبارك وتعالى، وفازوا بالأجر العظيم حتى قيل لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم, كما جاء في الحديث عَن عَلِيٍّ ا قَالَ: **بَعَثَنِي رَسُولُ الله غ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ. قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِن حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ. فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ الله غ. فَقُلْنَا: الْكِتَابُ؟ فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ. فَأَنَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا, فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ الله غ, لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ. فَلَمَّا رَأَت الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ, فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ الله غ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ, فَقَالَ النَّبِيُّ غ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ حَاطِبٌ: وَالله مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِالله وَرَسُولِهِ غ, أَرَدْتُ أَنْ**

يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللهُ بِهَا عَن أَهْلِي وَمَالِي, وَلَيْسَ أَحَدٌ مِن أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِن عَشِيرَتِهِ مَن يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عَن أَهْلِهِ وَمَالِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ غ: صَدَقَ, وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ: أَلَيْسَ مِن أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُم الْجَنَّةُ, أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ, فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ(111).

وكانت هذه الفئة من الصحابة قد رباهم النبي غ على الإيمان أحسن تربية، لذا يناجي الله فيقول: **اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**, فعن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ قَالَ: **لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ غ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ, وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا, فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ غ الْقِبْلَةَ, ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ, فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللهمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي, اللهمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي, اللهمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِن أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ, فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَن مَنْكِبَيْهِ, فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِن وَرَائِهِ, وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (**

(111) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: فضل من شهد بدرًا، برقم: (3983).

فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ[112]). الحديث.

وكذلك في غزوة أحد, والخندق، وصلح الحديبية، وحنين, وتبوك وغيرها، ومن أهم الدروس التربوية فيها: أن عاقبة المعصية وخيمة, وأن مخالفة الأوامر، والاختلاف, يؤديان إلى الفشل. وقد قال تعالى في محكم تنزيله:

([سورة الأنفال :45-47].

- **التربية بأعمال القلوب:** أعمال القلوب كثيرة فمثلاً الإخلاص؛ فهو عمل قلبي تظهر آثاره على الجوارح، وكذا المحبة، واليقين، وذروة اليقين ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في

[112]() صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، برقم: (1763).

مواقف من أعظمها: موقف الحديبية؛ حين قال: **إني رسول الله ولن يضيعني الله**. فعن أَبي وَائِلٍ قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ, فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقَالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ, فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله غ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا, فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: بَلَى. فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟ أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! إِنِّي رَسُولُ الله وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا. فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ, فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ غ, فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ الله وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله أَبَدًا. فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ, فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله غ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا, فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ نَعَمْ** [113].

ومنها الإيثار: وقد اختص الأنصار بهذه المنزلة الرفيعة، ومن أروع ما يحكي لنا التاريخ صورة خروج الأنصار للقيا إخوانهم من المهاجرين وترحابهم الغالي بهم وإيثارهم على أنفسهم، وتتجلى مظاهر الإيثار في تأمين السكن للمهاجرين، واقتسام الثمرة عليهم، وما قدموه من منائح والهدايا وغيرها، فمنهم من يعرض زوجاته على أخيه أيتهن أحب ينزل له عنها؛ فروي **أن النبي غ آخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع, فقَالَ سعد لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ, وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا, قَالَ: بَارَكَ الله**

[113]() صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب: إثم من عاهد ثم غدر، برقم: (3182).

لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ أَيْنَ سُوقُكُمْ. الحديث[114].

وقد أثنى الله عليهم في قوله:

( ) [الحشر: 9]. وغيرها من أعمال القلوب كالخوف والخشية والتجرد لله سبحانه وتعالى، والمراقبة والمحاسبة، والتوكل والرجاء، كل هذه ونحوها يربي الداعية نفسه وغيره عليها.

- **التربية بالأخلاق:** التربية على الأخلاق الطيبة من مطالب الدين, وقد استعمله النبي غ في تربية الصحابة، كالشجاعة والكرم والوفاء والصدق في القول، وعدم الكذب والخيانة والغدر وغيرها، فتربية المسلم على معاني الإسلام وصياغة سلوكه وفق هذه المعاني أمر ضروري، لا غنى للمسلم عنه, ومن ثم وجب على الداعي الاهتمام به وجعله في مقدمات ما يحرص عليه، وحفظ معاني الإسلام فقط دون أن تمس القلب لا يفيد في صلاح المسلم ولا في التقويم.

- **التربية بالتعليم**: لا يخفى علينا أنه حث القرآن الكريم المسلمين على التعليم, وحث النبي غ, بل لقد كان أول عمل قام به حين دخل المدينة هو بناء المسجد، ولم يكن دور

---

[114]() صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين برقم: (3780).

المسجد مقتصرًا على العبادة، بل كان مركزًا لمختلف نشاطات المجتمع الإسلامي, فعلى سبيل المثال تدارس القرآن في المسجد, فقد جاء في الحديث عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: **... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُم الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُم الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ...**[115] .

فهذا يدل على فضل التماس العلم وتدارس كتاب الله, وأن يكون التدارس في جماعة من المسلمين، وأن يكون المكان هو المسجد.

ومما يدل على اهتمام النبي غ بالتعليم ما جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك الخطبة ونزل لتعليم السائل. فعن حُمَيْد بْن هِلَالٍ قَالَ: قَالَ أَبُو رِفَاعَةَ: **انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ غ وَهُوَ يَخْطُبُ, قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَن دِينِهِ لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ, قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله غ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ, فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله غ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ الله, ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا**[116].

قال النووي: فِيهِ اِسْتِحْبَاب تَلَطُّف السَّائِل فِي عِبَارَته وَسُؤَاله الْعَالِم. وَفِيهِ تَوَاضُع النَّبِيّ غ وَرِفْقه بِالْمُسْلِمِينَ, وَشَفَقَته عَلَيْهِمْ, وَخَفْض جَنَاحه لَهُمْ. وَفِيهِ الْمُبَادَرَة إِلَى جَوَاب

---

[115]() قطعة حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم: (2699).

[116]() صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب: حديث التعليم في الخطبة، برقم: (876).

الْمُسْتَفْتِي وَتَقْدِيم أَهَمّ الْأُمُور فَأَهَمّهَا, وَلَعَلَّهُ كَانَ سَأَلَ عَن الْإِيمَان وَقَوَاعِده المُهِمَّة. وَقَد اتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ مَن جَاءَ يَسْأَل عَن الْإِيمَان وَكَيْفِيَّة الدُّخُول فِي الْإِسْلَام وَجَبَ إِجَابَته وَتَعْلِيمه عَلَى الْفَوْر[117].

ومما يدل على اهتمام النبي غ بالتعليم أنه عرض على أسرى بدر من كفار قريش أن من أراد أن يفتدي نفسه بتعليم عشرة أطفال من المسلمين القراءة والكتابة فليفعل, فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: **كَانَ نَاسٌ مِن الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ, فَجَعَلَ رَسُولُ الله غ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ, قَالَ: فَجَاءَ يَوْمًا غُلَامٌ يَبْكِي إِلَى أَبِيهِ, فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي. قَالَ: الْخَبِيثُ يَطْلُبُ بِذَحْلِ بَدْرٍ وَالله لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا** [118].

وهذا مما حفز الصحابة إلى طلب العلم طلبًا موصولًا في إقبالهم عليه, وحرصهم الشديد على التفقه في الدين, وملازمة النبي غ من أجل طلب العلم.

ولم يكن تلقي العلم قاصرًا على الرجال فحسب, بل للنساء سهم وافر فيه؛ إذ كان لهن يوم خاص يتلقين فيه تعاليم دينهن من رسول الله غ, فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: **قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ غ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِن نَفْسِكَ, فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ, فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِن وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا**

---

[117]() شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد الثاني، 6/165.
[118]() مسند أحمد (1/247).

مِن النَّارِ, فَقَالَت امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ[119].

فلا يكفي أن يقوم الداعي بتعليم المستجيب معاني الإسلام, وإنما عليه أن يحمل على العمل بها صياغة سلوكه بموجبها ومقتضاها، وهذا ما يقصد بالتربية مع العلم.

ومما يدخل في التربية بالتعليم حرص الداعية نفسه، وعلى من تحت يده أن يكون هناك منهج تعليمي وتثقيفي يزود نفسه فيه، وفي مقدمة هذا المنهج كتاب الله تعالى: قراءةً وتدبرًا، وحفظا، وتفسيرًا، فيحفظه أو يحفظ ما تيسر منه، وكذا سنة رسول الله غ، فيحفظ منها ما تيسر مع القراءة المتواصلة فيها، وكذا سيرته غ، وغير ذلك مما يحتاجه الداعي من العلوم الشرعية والعربية والتربوية في منهج متكامل[120].

* * *

[119]() صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، برقم: (102). وينظر كتاب: أسئلة النساء للنبي غ جمعاً ودراسةً، للكاتب.

[120]() ينظر ما كتبته في كتاب: «قواعد منهجية في طلب العلم».

المبحث الثامن:

عوائق وعقبات في طريق الدعوة

اقتضت سنة الله تعالى في هذه الدعوة ألا يكون طريقها سهلاً وميسورًا، بل مليء بالعقبات والعوائق الداخلية عند الداعية نفسه، أو من خارجه، وكل هذه العوائق تندرج تحت سنة الابتلاء، لذا أذكر ما يتعلق بهذه السنة مشيرًا بعدها إلى بعض العقبات.

❐ أولاً: الابتلاء سنة دعوية:

إن الدعوة إلى الله تعترض في سبيلها العوائق والعقبات والابتلاءات، وهذا من سنة الله في الأرض، قال تعالى: ([سورة البقرة: 214].

وقال تعالى: (

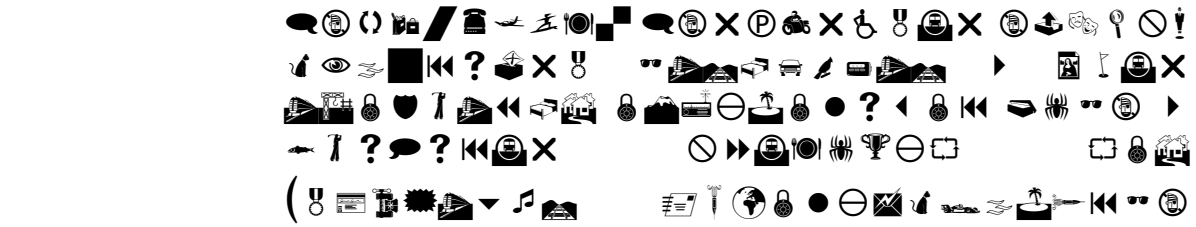

[سورة الأنعام: 34]. وكما قال ورقة بن نوفل للنبي غ حينما ذهبت به زوجته خديجة ل إليه في قصة بدء الوحي، كما جاء في الحديث: **فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ ابْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى, وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا, وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ, وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِن الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ, وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ, فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِن ابْنِ أَخِيكَ؟ قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله غ خَبَرَ مَا رَآهُ, فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى غ, يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا! يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا! حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ الله غ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ. وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا** (121).

* * *

فالابتلاء سنة دعوية، سواء كان بالسب والشتم والضرب والافتراء واللمز والهمز من الآخرين أو غيرها كما قال تعالى: (

121() صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، برقم: (4)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم: (231).

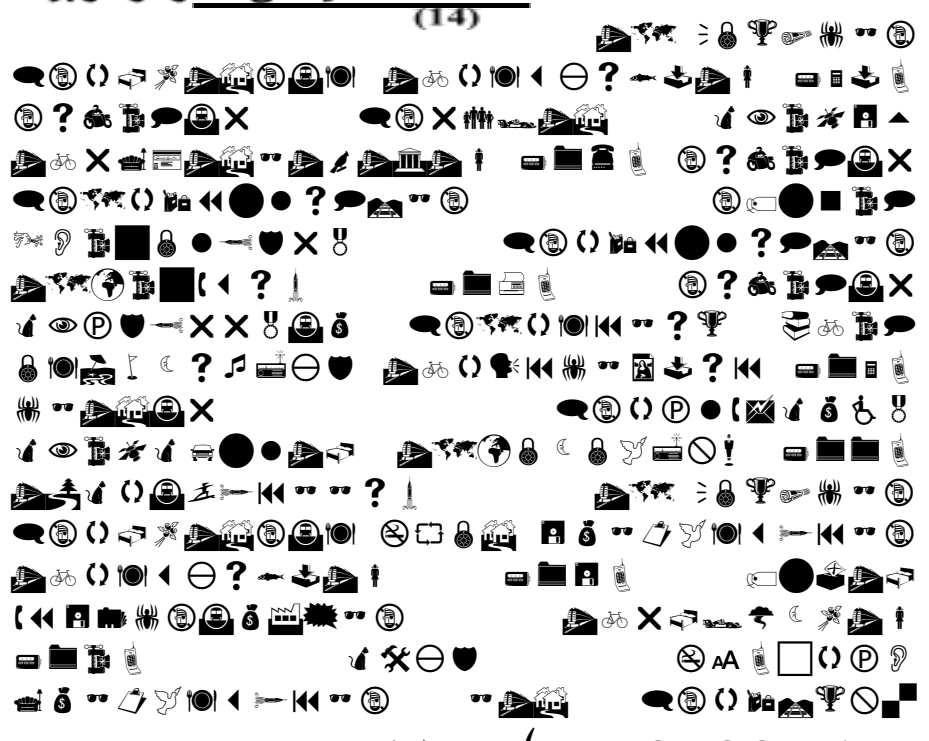

[سورة المطففين:29-36].

كما يكون ذلك الابتلاء متنوعًا قال تعالى:

[سورة آل عمران: 186].

وهذه الابتلاءات ليست خاصة بهذه الأمة، بل جميع الأنبياء والرسل ابتلوا بأقوامهم، فمنهم من أوذي، ومنهم من أخرج من بلده، ومنهم من قتل, كما قال تعالى: ([سورة آل عمران: 21], والأمة اليهودية أخبث الأمم حيث قتلوا كثيرًا من الأنبياء، مثل زكريا ويحيى عليهما السلام، يقول الطبري في تفسير الآية: «وأما قوله: ( ) فإنه يعني بذلك أنهم كانوا يقتلون رسلَ الله الذين كانوا يُرسَلون إليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله، وركوب ما كانوا يركبونه من الأمور التي قد تقدم الله إليهم في كتبهم من الزجر عنها, نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من أنبياء الله[122]. وجاء في رواية أبي عبيدة أنه قال: قلت :يا رسول الله ! أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيًا, أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف. ثم قرأ رسول الله غ: ( ).

[122]() تفسير الطبري، 5/289.

إلى أن انتهى إلى:

ثم قال رسول الله غ :«يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار، في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعًا من آخر النهار في ذلك اليوم، وهم الذين ذكر الله عزوجل»[123]. ولهذا طبع الله على قلوبهم،كما قال تعالى: (

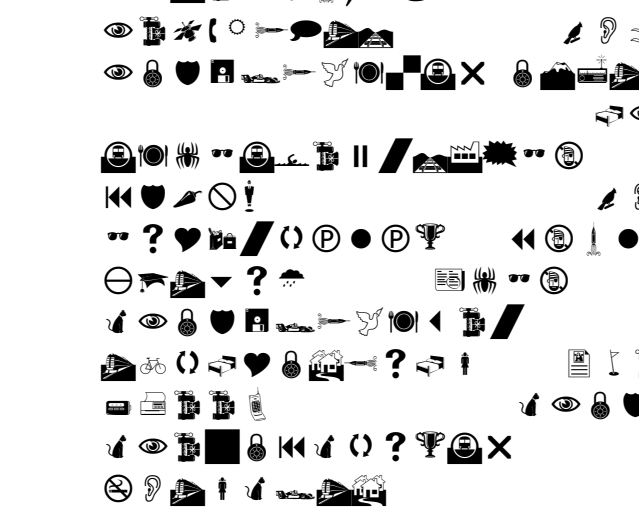

[سورة النساء: 155-156]. يقول الطبري: يعني بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا, وهو البهتان العظيم، لأنهم رموها بذلك، وهي مما رموها به بغير ثبتٍ ولا برهانٍ بريئةٌ, فبهتوها بالباطل من القول[124].

---

[123]() تفسير الطبري، 5/291. وقال المحقق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: أخرجه البزار في مسنده(1285) وابن أبي حاتم في تفسيره، 2/620(3332), والبغوي في تفسيره 2/20-21, من طريق محمد بن حمير به.

[124]() تفسير الطبري، 7/649.

ولقد ابتلي خليل الله إبراهيم عليه السلام أيضا وهو أبو الأنبياء، حتى ألقي في النار ولكنه صبر, فجعل الله النار بردًا وسلاماً عليه؛ كما قال تعالى: (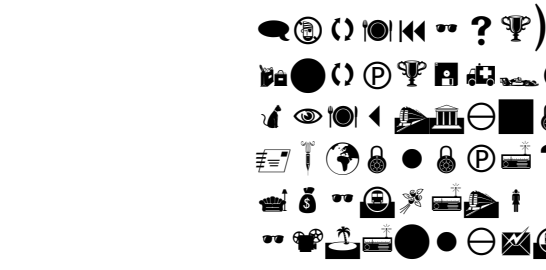) [سورة الأنبياء :68-69].

لذا مدحه الله بكونه أمة لوحده، قال تعالى: ( ) [سورة النحل:120-123].

وكذلك أوذي كليم الله موسى عليه السلام من قومه ولكنه صبر كما جاء في الحديث: فعن الْأَعْمَشِ قَالَ: سَمِعْتُ شَقِيقًا يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: **قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةً كَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ, فَقَالَ رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ: وَاللهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ.**

قُلْتُ: أَمَّا أَنَا لَأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ غ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ, فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ غ, وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ, وَغَضِبَ, حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ, ثُمَّ قَالَ: قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَصَبَرَ ([125]).

وكذلك ابتلي نبينا محمد غ بأنواع الأذى من كفار مكة, رموه بالسحر والكهانة والإفك كما قال تعالى:

( ) [سورة ص: 4-5].

وقال تعالى: (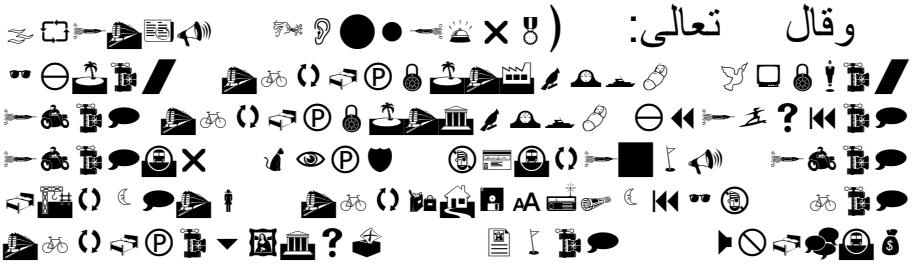) [سورة الإسراء: 47].

وقال تعالى: (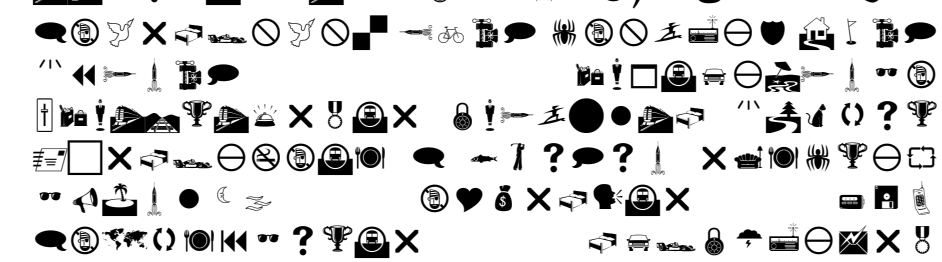

[125]() صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: الصبر على الأذى، برقم: (6100).

[سورة الفرقان: 4-5].

وقال تعالى: (

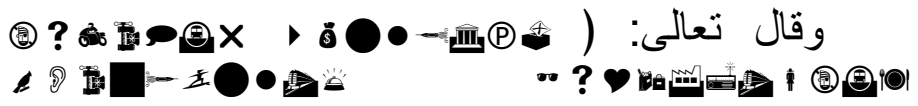
[سورة الأنفال:31].

وقد رد الله على مزاعمهم الباطلة في سورة الحاقة: فقال:

(

﴿ ● ﴾ [سورة الحاقة: 38-48].

وكذلك ألقي عليه سلا جذور وهو يصلي كما روى البخاري: عَن **عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ غ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ, وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ, إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ غ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ. قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ, وَرَسُولُ الله غ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ, حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَن ظَهْرِهِ, فَرَفَعَ رَسُولُ الله غ رَأْسَهُ. ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ, فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ, قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ. ثُمَّ سَمَّى: اللهمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ, وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ, وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ, وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ, وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ, وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ, وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ, قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ الله غ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ**[126].

وخنقه الشقي عقبة وهو يصلي كما جاء في الحديث: عَن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو عَن أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ الله غ, قَالَ: **رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ غ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ**

---

[126]() صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، برقم: (240).

فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا, فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ: (

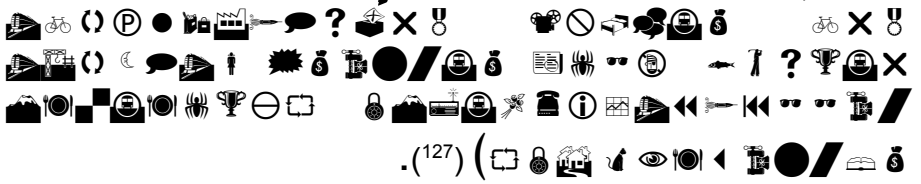

وعند وقعة الهجرة أرادوا قتله ولكن الله حماه من مكرهم، وقد أشار القرآن إلى هذه الحادثة في قوله تعالى:

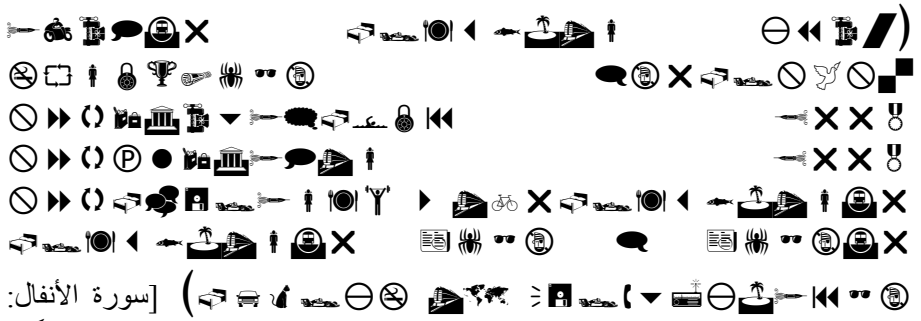

[سورة الأنفال: 30]. حتى خرج من مكة أحب بلاد الله إليه كئيبًا حزينًا، وحينما خرج منها جرى على لسانه: **(وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ, وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ, وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)**[128].

وفي المدينة لقي من المنافقين واليهود أنواعاً من الأذى ولكنه صبر وصابر حتى التحق بالرفيق الأعلى.

والحاصل: أنه ما من نوع من الابتلاء إلا نال الحبيب ﷺ منه نصيباً، لكونه القدوة عليه الصلاة والسلام الذي

---

[127]() صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، برقم: (3856).

[128]() جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب: في فضل مكة، برقم: (3925).وقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

علَّم الأمة درس الصبر والرضا والشكر على المحن.

وكذلك أوذي أصحابه أشد أنواع الأذى في هذا الطريق فعلى سبيل المثال قصة بلال, وعمار وسمية, وصهيب, والمقداد, في المسند عَن زِرٍّ عَنِ عَبْدِ الله قَالَ: **أَوَّلُ مَن أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله غ, وَأَبُو بَكْرٍ, وَعَمَّارٌ, وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ, وَصُهَيْبٌ, وَبِلَالٌ, وَالْمِقْدَادُ, فَأَمَّا رَسُولُ الله غ فَمَنَعَهُ الله بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ, وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ الله بِقَوْمِهِ, وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُم الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ, فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا, إِلَّا بِلَالٌ فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله, وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ, فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ**[129].

وكم من صحابي قدم مهجته لإعلاء كلمة الله, فإليك هذه القصة التي رويت عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: **جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ غ فَقَالُوا: أَن ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِن الْأَنْصَارِ يُقَالُ لهُم الْقُرَّاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ, يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ, وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ, وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ, فَبَعَثَهُم النَّبِيُّ غ إِلَيْهِمْ, فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ, فَقَالُوا: اللهمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ**

---

[129]() مسند أحمد (1/404).

عَنَّا. قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِن خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ, فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ غ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللهمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا[130].

وغيرها من القصص كثيرة من أراد تفاصيلها فليرجع إلى مظانها في كتب الحديث والسيرة.

وكذلك التابعون ومن بعدهم من السلف الصالح قد ابتلوا ابتلاءً عظيماً؛ فالإمام مالك : ابتلي عندما أفتى ببعض الفتاوى، والإمام أحمد ابتلي في مسألة خلق القرآن. وكذلك الإمام ابن تيمية : فقد جرت له محن في السجن، وغيرهم كثير.

* * *

وهكذا حصل ويحصل لكل داعية أراد النصح لهذه الأمة، ولكن ليعلم أنه لا يلزم أن يكون الابتلاء من جنس ما سبق ذكره بالحبس والضرب ونحو ذلك، فقد يكون بالفقر والمرض وتسلط الأعداء، والوشاية عند الولاة، والغمز واللمز، كما يكون بالعقبات المادية، والمعنوية، وحسد الأقران، وكثرة الانتقادات، والتثبيط ممن يريد النصح، ونحو ذلك. ولكن مع ذلك كله على الداعي أن يقابل هذا الابتلاء بالصبر والسلوان، والعفو والصفح،كما قال تعالى: ([illegible]

---

[130]() صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد، برقم: (677).

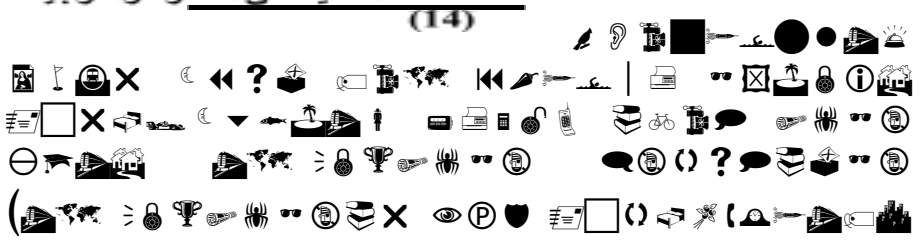

[سورة النحل: 127-128].

وكما قال تعالى: 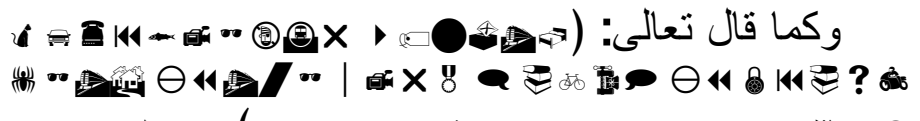

[سورة لقمان: 17].

ولا شك أن النتيجة الحسنة والعاقبة الحميدة تكون دائمًا للمتقين الصابرين كما قال تعالى:

[سورة طه:132] وقال تعالى:

[سورة هود:49] وقال تعالى:

[سورة الرعد: 22].

وبالابتلاء يميز الخبيث من الطيب، والكاذب من

الصادق ،كما قال تعالى: (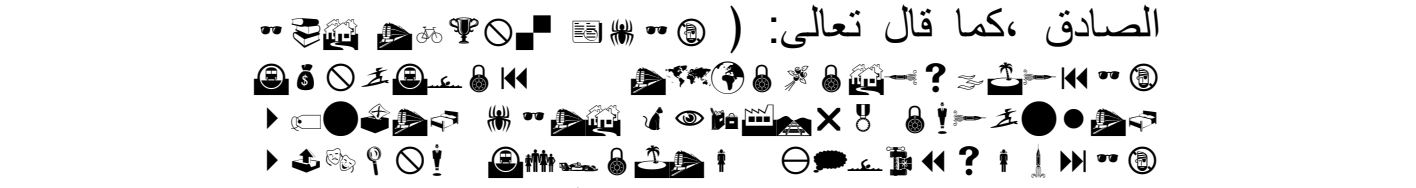 [سورة آل عمران: 179]،

وقال تعالى: (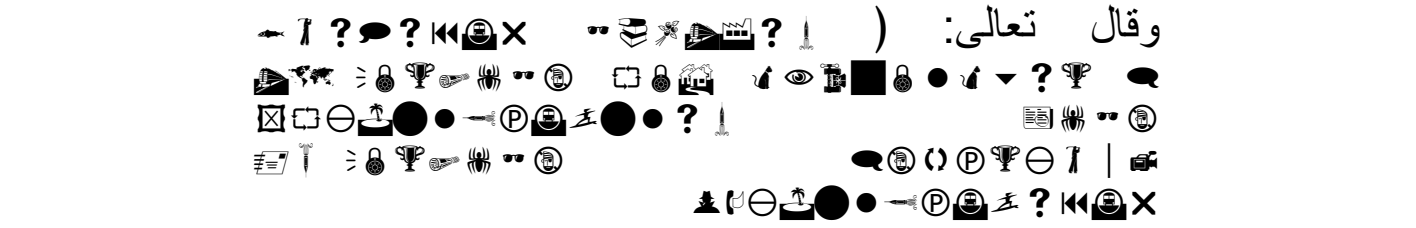 [سورة العنكبوت :3]. ومن هنا على الداعية أن يكيّف نفسه ويربيها على تحمل ما يعرض له، ومعالجته بالأسلوب الشرعي، صابرًا محتسبًا مستشيرًا غيره.

* * *

❐ ثانيًا: بيان موجز لبعض العوائق والعقبات في طريق الدعوة الداخلية والخارجية:

إن طريق الدعوة إلى الله تعترضها عوائق وعقبات، فعلى الداعي أن يستعد لها، ويتجاوزها بقوة الإيمان واليقين، فأذكر بعضها على سبيل الإيجاز، منها:

● **الشيطان:** الشيطان رأس الأعداء، وقائد المخذلين والمتربصين، حريص عرقلة مسيرة الدعوة، يتنوع في مكايده, كيف لا، وقد وعد اللهَ تعالى يوم طرد من رحمته: (

[سورة الإسراء: 62]. وفي موضع:

[سورة الأعراف: 16، 17]. فيبذل كل السبل لإغواء بني آدم، ويحاول بكل ما أوتي من قوة لإضلالهم.

لذا حذر الله تعالى من اتباعه، كما قال تعالى:

[سورة البقرة: 168-169]. وقال تعالى:

[سورة فاطر:6]

([131]).

● **النفس:** إن الإنسان بعد الشيطان قد يبتلى بالنفس الأمارة، كما قال تعالى عن امرأة العزيز: (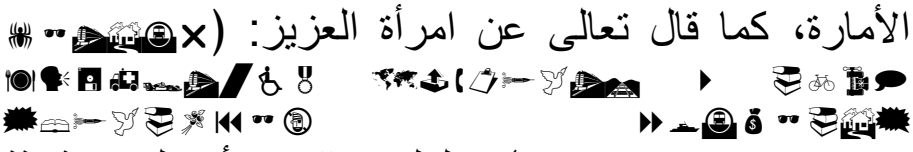
والعلماء ذكروا أن النفس ثلاثة أقسام: نفس مطمئنة التي لا تأمر إلا بالخير، ونفس لوامة التي تلوم الإنسان بعد ارتكاب المعصية، وأحياناً قبلها أيضاً, ونفس أمارة بالسوء التي تأمر الإنسان بالسوء وتزين له الفحشاء والمنكر, والمعاصي والذنوب. فالنفس الأمارة بالسوء من معوقات الدعوة. فعلى الداعية أن يتنبه إلى ذلك.

● **اتباع الهوى:** وهذا يدخل في النقطة السابقة، فإن اتباع الهوى نتيجة لاتباع النفس الأمارة بالسوء، وقد حذر الله من اتباع الهوى, كما قال تعالى: (
[الجاثية :23].

---

[131]() ينظر للتفصيل كتاب: تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي : ففيه تفصيلات حسنة، حري بالداعية أن يقرأها.

يقول ابن كثير: أي:
إنما يأتمر بهواه, فمهما رآه حسنًا فعله, ومهما رآه قبيحًا تركه[132].

فاتباع الهوى من أسباب الخسران، فلذا يلزم للداعية أن يكون بعيدًا من هوى النفس, وعليه أن يربيها على اتباع الشرع وترويضها على ذلك، فالنفس كالعجينة بحسب ما يربيها الإنسان عليه.

- **الاستعجال وعدم التثبت:** لا شك أن من العقبات للدعوة الاستعجال وعدم التثبت سواء كان في منهج الدعوة أو وسائلها أو الحكم على الأشياء أو الآخرين. قال تعالى في سورة الحجرات: ([illegible]) [سورة الحجرات: 6].

يقول ابن كثير: يأمر تعالى في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين...

وقد ذُكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله غ على صدقات

---

[132]() تفسير ابن كثير، 7/253.

بني المصطلق, وقد ذُكر ذلك من طرق، ومن أحسنها ما روى الإمام أحمد في مسنده عن الحارث بن ضرار الخزاعي أنه قَالَ: **قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله غ, فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَدَخَلْتُ فِيهِ وَأَقْرَرْتُ بِهِ, فَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ فَأَقْرَرْتُ بِهَا, وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَرْجِعُ إِلَى قَوْمِي فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ, فَمَن اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ فَيُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولُ الله غ رَسُولًا لِإِبَّانِ كَذَا وَكَذَا لِيَأْتِيَكَ مَا جَمَعْتُ مِن الزَّكَاةِ, فَلَمَّا جَمَعَ الحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّن اسْتَجَابَ لَهُ وَبَلَغَ الْإِبَّانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ الله غ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِ احْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَلَمْ يَأْتِهِ, فَظَنَّ الحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخْطَةٌ مِن الله عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ, فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ الله غ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولَهُ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِن الزَّكَاةِ, وَلَيْسَ مِن رَسُولِ الله غ الْخُلْفُ, وَلَا أَرَى حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِن سَخْطَةٍ كَانَتْ، فَانْطَلِقُوا فَنَأْتِيَ رَسُولَ الله غ. وَبَعَثَ رَسُولُ الله غ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى الحَارِثِ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِن الزَّكَاةِ, فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ فَرِقَ فَرَجَعَ فَأَتَى رَسُولَ الله غ, وَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ الحَارِثَ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ وَأَرَادَ قَتْلِي, فَضَرَبَ رَسُولُ الله غ الْبَعْثَ إِلَى الحَارِثِ, فَأَقْبَلَ الحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ إِذْ اسْتَقْبَلَ الْبَعْثَ وَفَصَلَ مِن المَدِينَةِ, لَقِيَهُمْ الحَارِثُ فَقَالُوا: هَذَا الحَارِثُ فَلَمَّا غَشِيَهُمْ قَالَ لَهُمْ: إِلَى مَن بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ الله غ كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ فَزَعَمَ أَنَّكَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ. قَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَ**

مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ بَتَّةً وَلَا أَتَانِي. فَلَمَّا دَخَلَ الحَارِثُ عَلَى رَسُولِ الله غ قَالَ: مَنَعْتَ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي؟ قَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ وَلَا أَتَانِي؛ وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ الله غ, خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ كَانَتْ سَخْطَةً مِن الله عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَنَزَلَت الحُجُرَاتُ: ([illegible] **إِلَى هَذَا الْمَكَانِ** ([illegible]) (133).

وقال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن جاءكم فاسق بخبر عن قوم فتبينوا. ثم ذكر سبب نزول هذه الآية فروى بسنده عن أم سلمة قالت :«بعث رسول الله غ رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة, فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله غ قال: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت: فرجع إلى رسول الله غ فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم, فغضب رسول الله غ والمسلمون، قال: فبلغ القوم رجوعه، قال: فأتوا رسول

133() ينظر: تفسير ابن كثير، 7/350. بتصرف، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (4/279).

الله غ فصفوا له حين صلى الظهر، فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلاً مصدقًا، فسررنا بذلك وقرت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق، فخشينا أن يكون ذلك غضبًا من الله ومن رسوله, فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال وأذن بصلاة العصر، قال: ونزلت:

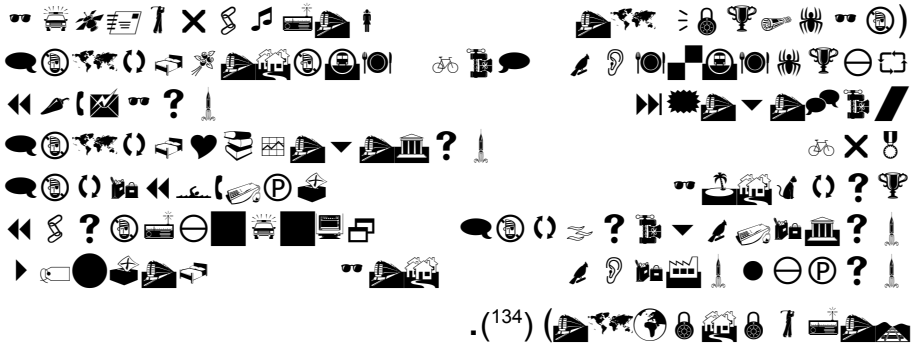

فلذا يجب على الداعي ألا يستعجل في الأمور، ويتثبت من الأخبار، لئلا يندم حين لا ينفعه الندم.

ومما يدخل في الاستعجال، طلب النتائج من دعوته عاجلاً، فإن لم تحصل له فتر وتكاسل ويئس، وهذا بلا شك من أهم العوائق النفسية، فالنبي غ استمر يدعو الرجل والرجلين في مكة ولم يستعجل النتيجة، ثم ليدرك الداعية أن عليه العمل، أما ثمار العمل فأمره إلى الله تعالى، فليتنبه الداعية إلى ذلك.

● **حب الدنيا**: لا شك أن حب الدنيا يعيق حركة الدعوة، لأن حب الدنيا إذا تمكن من قلب العبد، فقد آثر الفانية على الباقية،كما قال تعالى: (

[134]() تفسير الطبري، 21/349-350.

[سورة القيامة :20-21], وقال تعالى: [سورة الأعلى:16-17].

وهذا سبب ضعف الأمة كما جاء في الحديث: عَن ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: **«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ, وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِن صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ, وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُم الْوَهْنَ, فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله! وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»**[135].

فالقلب الذي فيه حب الدنيا يخلو من حب الله، يقول ابن القيم :: «لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا، إلا كما يدخل الجمل في سم الخياط»[136]. ومن هنا يجب على الداعية أن يضع له منهجاً حتى لا تسيطر عليه الدنيا فتغلب عليه فينسى دعوته، وليس المراد أن يعيش فقيرًا ولكن بتوازنٍ كما في قوله تعالى: [سورة الجمعة:11].

---

[135] () سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب: في تداعي الأمم على الإسلام، برقم: (4297).
[136] () كتاب الفوائد لابن القيم, ص: 129.

[سورة القصص:77].

● **العجز والكسل:** والكسل هو التثاقل والتراخي مما ينبغي مع القدرة, أو عدم انبعاث النفس لفعل الخير، وكان الرسول غ يتعوذ منهما كما جاء في الحديث: عن أَنَس بْن مَالِكٍ ا قال: كَانَ نَبِيُّ الله غ يَقُولُ: **اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ, وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ, وَأَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ الْقَبْرِ, وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ**[137].

ومما يعين على تجاوز الكسل والعجز أن يضع الداعية لنفسه برنامجاً يسير عليه، ولا يسمح لنفسه أن يتركه أو يتراخى عنه، مع كثرة الدعاء، ومجالسة الجادين من الدعاة النشيطين، والعلماء الراسخين.

● **الفراغ:** إن الفراغ سبب رئيس للعجز والكسل, وبالأخص للشباب, كما يقول الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

فلذا يلزم الداعية أن يملأ فراغه في برامجه الدعوية, والاستعداد لمتطلباتها, مثل طلب العلم, وحفظ القرآن والأحاديث والأذكار والأدعية وغيرها، والعبادة بمختلف أنواعها, والقيام بأعمال صالحة مثل صلة رحم، أو قضاء حاجة الآخرين, فالله في عون العبد ما دام في عون أخيه, كما

---

[137]() صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب: التعوذ من فتنة المحيا والممات، برقم: (6367).

جاء في الحديث: **«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**[138].

والدافع لشغل الفراغ سببان: الخوف من مفاجأة الموت، أو الابتلاء بالعوائق المقعدة كالمرض. يقول الشاعر:

اغتنم في الفراغ فضـــل ركوع بغتة فعسـى أن يكون موتك

كم صحيح رأيت من غير سقم فلتة ذهبت نفسـه الصحيحة

وخير من قول الشاعر قول النبي غ: فعن اِبْن عَبَّاس ب قال: قال رسول الله غ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظهُ: «**اِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْل خَمْس, شَبَابك قَبْل هَرَمك, وَصِحَّتك قَبْل سَقَمك, وَغِنَاك قَبْل فَقْرك, وَفَرَاغك قَبْل شُغْلك, وَحَيَاتك قَبْل مَوْتك**»[139].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ب قَالَ: **أَخَذَ رَسُولُ الله غ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ.** وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: **إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِر الصَّبَاحَ, وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِر المَسَاءَ, وَخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ, وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**[140].

قال الحافظ: «فيه التَّحْذِير فِي حَقّ مَن لَمْ يَعْمَل شَيْئًا, فَإِنَّهُ

---

[138]() صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم: (2699).

[139]() المستدرك على الصحيحين للحاكم، 4/306. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وَأَخْرَجَهُ اِبْن الْمُبَارَك فِي الزُّهْد بِسَنَدٍ صَحِيح مِن مُرْسَل عَمْرو بْن مَيْمُون. ينظر: فتح الباري، 11/235.

[140]() صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: قول النبي: «كن في الدنيا كأنك غريب»، برقم: (6416).

إِذَا مَرِضَ نَدِمَ عَلَى تَرْكه الْعَمَل, وَعَجَزَ لِمَرَضِهِ عَن الْعَمَل فَلَا يُفِيدهُ النَّدَم»[141].

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ ب قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ غ: **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِن النَّاسِ؛ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**[142].

فصار لزاماً على الجميع وبالأخص على الدعاة أن يشغلوا فراغهم كله لما يعود عليهم من الخير.

- **مصاحبة المبطئين والمعوقين:** إن الإنسان يتأثر بمن يصاحبه كما جاء في الحديث: **المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ, فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَن يُخَالِطُ. وَقَالَ مُؤَمَّلٌ: مَن يُخَالِلُ**[143].

أيضا عَن أَبِي مُوسَى ا عَن النَّبِيِّ غ قَالَ: **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ: كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ, وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ, وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً, وَنَافِخُ الْكِيرِ؛ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ, وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**[144].

فصحبة المبطئين والمعوقين تكون ضارة للدعاة، قال تعالى: ﴿ [سورة النساء: 72].

---

[141] () فتح الباري شرح صحيح البخاري، 11/235, بتصرف.
[142] () صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة، برقم: (6412).
[143] () مسند أحمد (2/303).
[144] () صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم: (5534).

وقال أيضاً: (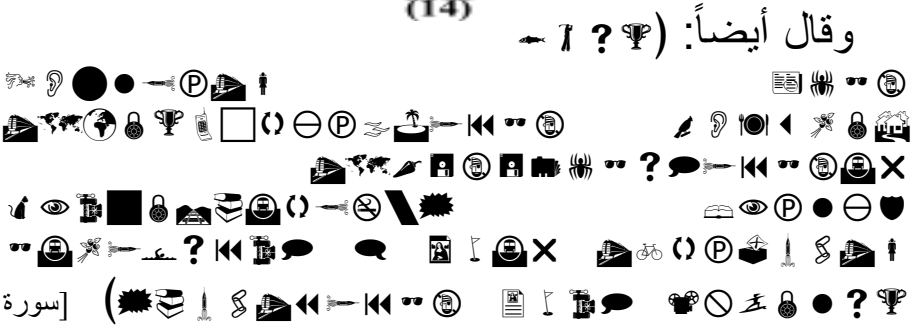
الأحزاب: 18].

فالله جل وعلا يحذر المؤمنين من هذين الصنفين أشد الحذر ليصفي طريق الدعوة, فالحذر الحذر من مصاحبتهم. وهؤلاء يمكن أن نسميهم مقدمي (السم الحلو) ليقتلوا همة هذا الداعية بما يقدمونه من لحن القول وحلاوته فيطرب له الداعي، كمن يقول: ارفق بنفسك، وكيف تعمل هذه الأعمال الدعوية، وأنت مهمل لما ينفعك، والناس خلاف ذلك. أو ممن يسب الدعوة والدعاة بحجة النصح لهم وهو قاعد, همه النقد والتجريح وغير ذلك.

● **اقتراف سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.**

ومنها: أمراض القلوب: كالحسد والبغض والحقد، والعجب، والغرور والكبر، والرياء، وحب الأنا، والشهرة وغيرها. فهذه وأمثالها إذا دخلت على القلوب أهلكتها وجرّت إليها غيرها حتى تحبط الأعمال والعياذ بالله. قال تعالى:

(

[الحديد :16]. **فعلى** الداعي أن يسعى لما يقي قلبه من تلك الأمراض وأن يعالج ما وقع فيها.

هذه بعض المعوقات تتعلق بالداعي، كما أن هناك معوقات خارجية تأتي من الطرف الآخر، ومنها ما يلي:

● **إلصاق التهم بالدعاة:** فقد يفترى بعض الكفار والمنافقين والحسدة أو الأعداء وغيرهم على العاملين في مجال الدعوة لتنفير الناس منهم، وزعزعة كيانهم، وإحداث البلبلة في صفهم، كما افترى كفار قريش على النبي غ، ووصفوه بأنه كاهن, وشاعر, وساحر, الذي يفرِّق بين المرء وزوجه، وبين الأب وابنه، وبين القريب وقريبه، كما توضح لنا قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ا هذه المعوقات، يقول ابن هشام: «وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله غ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر؛ يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه، ولا تسمعن منه شيئًا، قال: فو الله ما زالوا

بي حتى أجمعت على ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذنيَّ حين غدوت إلى المسجد كرسفًا فرقًا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله غ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسنًا، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله غ إلى بيته، فأتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فو الله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسفٍ لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسنًا، فأعرض عليَّ أمرك، قال: فعرض عليَّ رسول الله غ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، قال: فأسلمت، وشهدت شهادة الحق[145].

ومن هنا على الداعي ألا يتأثر بما يلصق فيه من التهم والسخرية، فله سلف وأيما سلف: رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ي أجمعين.

ولا يعني هذا ألا يدرس النقد الذي يسمعه، بل عليه دراسته؛ فإن وجد فيه فائدة استفاد منه، وإلا تركه ولا يأبه

---

[145]() السيرة النبوية لابن هشام, 1/390-391.

به، فهو شاهد له بحسن سيرته وسلوكه, فهذا سنن المرسلين والعلماء والدعاة.

● **الإغراءات:** وقد تأتي الإغراءات الدنيوية من مال أو منصب أو بعض التسهيلات بغية فتنتهم، كما قدم كفار قريش على النبي غ بعض هذه الأشياء، فذكر ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق بروايته عن محمد بن كعب القرظي: قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدًا، قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسول الله غ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا، لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله غ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله غ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت: من السلطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيمٍ فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله غ: قل يا أبا الوليد أسمع, قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك

الطب، وبذلنا فيه أموالنا
حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى
يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله غ
يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال فاستمع
مني, قال: أفعل. فقال:
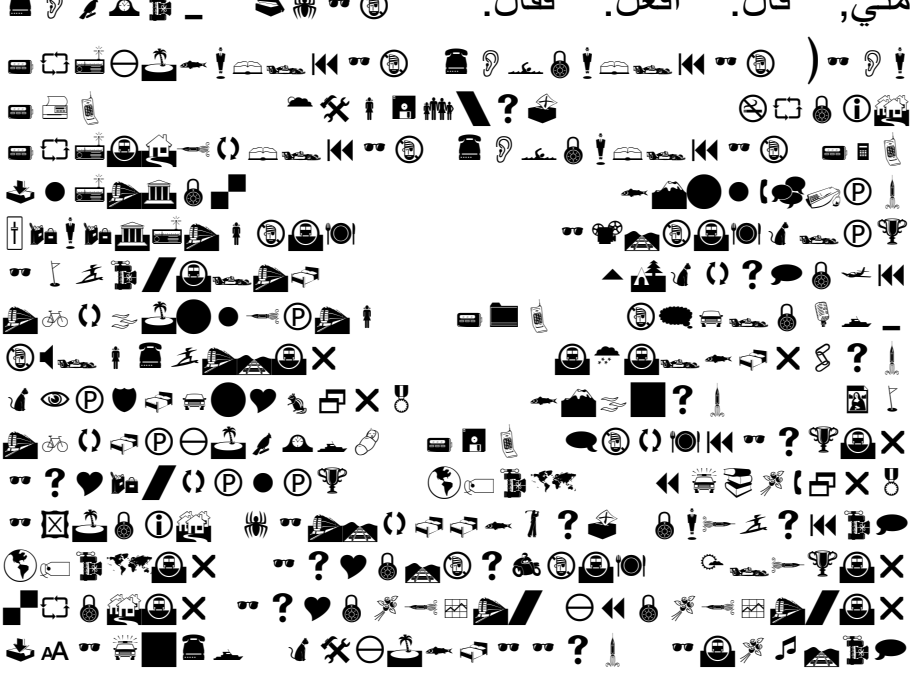
[سورة فصلت:1-5]، ثم مضى رسول الله
غ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى
يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول
الله غ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد
ما سمعت، فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم
لبعضٍ: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي
ذهب، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال:

ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم([146]).

وهكذا تأتي الإغراءات لكل من يعمل في مجال الدعوة، فإن قبلها وتنازل عن الدعوة، يكون عاقبتها الخسران، والفشل في الدعوة. وميزانه في ذلك الشرع؛ فما كان منضبطًا بضوابط الشرع قبله, وإلا فلا.

● **التضييق والتهديد من الآخرين:** وذلك بشتى الوسائل والطرق، كما هدد قوم نوح نبيه: (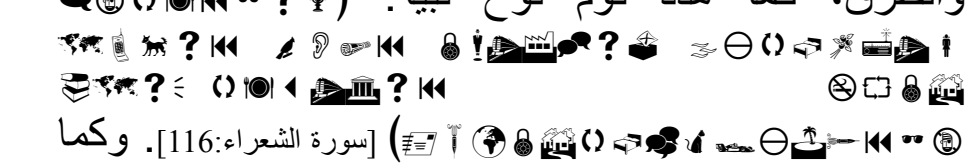) [سورة الشعراء:116]. وكما حكى القرآن تهديد أصحاب القرية للمرسلين إليهم: (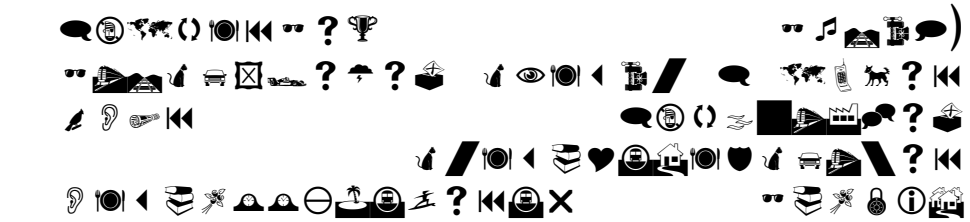

---

[146]() السيرة النبوية لابن هشام, 1/390-391.

[سورة يس:18]. وتهديد قوم شعيب له، فقال تعالى:

[سورة الأعراف:88]. **وقال تعالى:**

[سورة هود:91-92].وتهديد قوم لوط له في قوله تعالى: [سورة الشعراء:167]. وفي قوله تعالى:

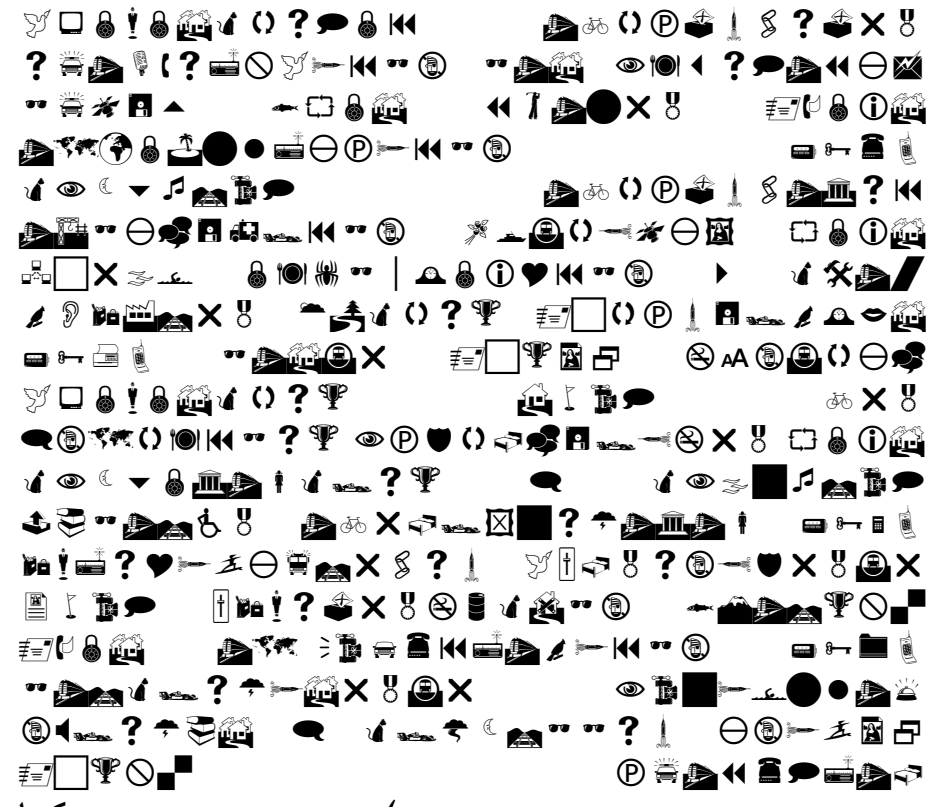

[سورة الأعراف:80-84]. وكما هدد فرعون نبي الله موسى حينما أتى بالبراهين القاطعة لبطلان ألوهيته (

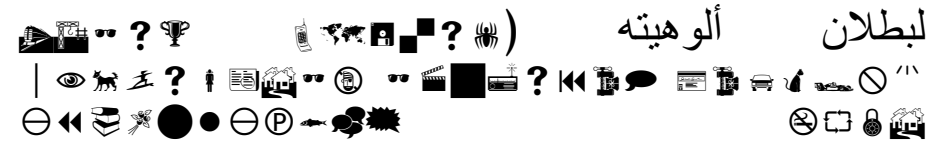

[سورة الشعراء:29]. وكما هدد فرعون السحرة حين آمنوا بموسى:

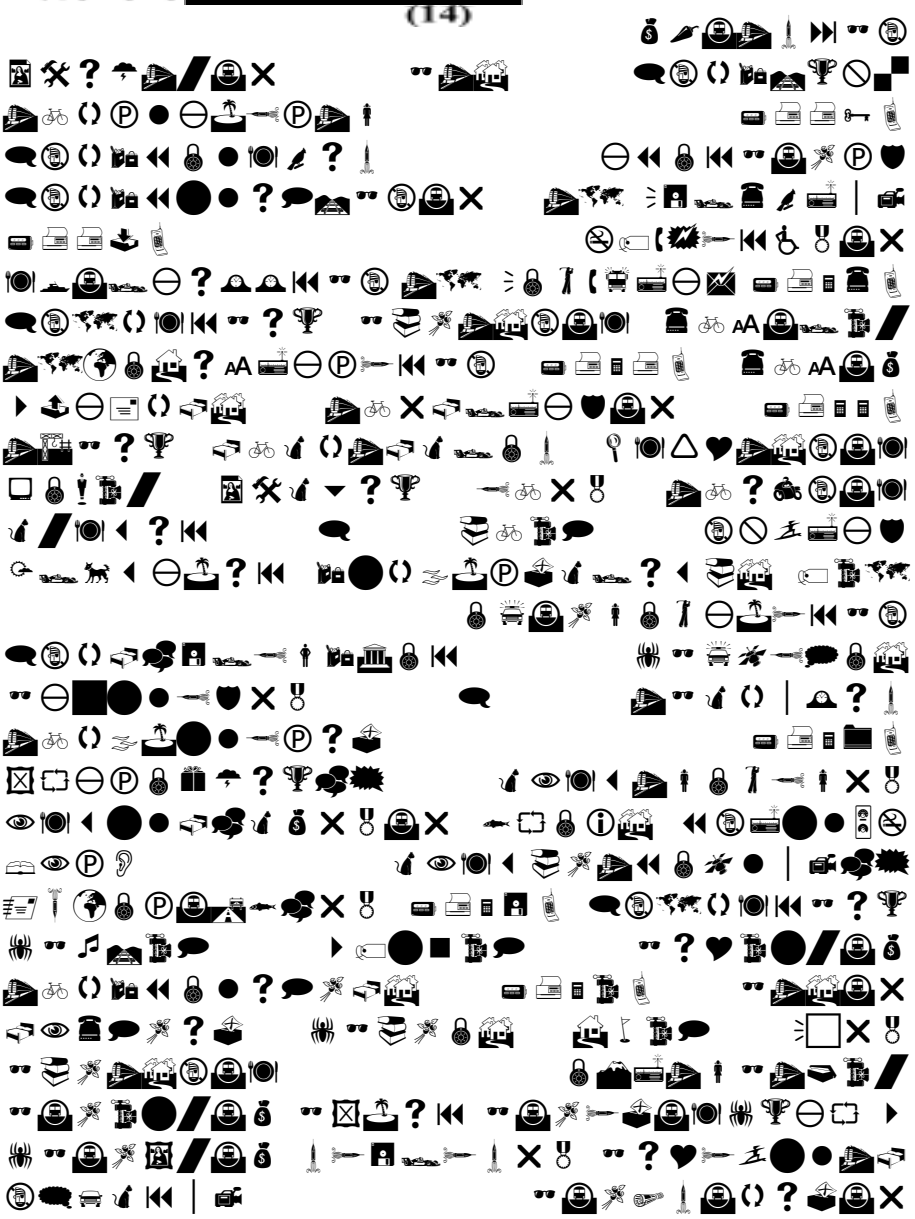

[سورة الأعراف:117-126].

وكما هدد بقتل أبناء من آمن بموسى، كما حكى القرآن:

[سورة الأعراف:127]. بل نفذ هذه الجريمة، كما جاء في قوله تعالى:
[سورة الأعراف:141]. فاستعان موسى بالصبر وأوصى به قومه، قال تعالى :

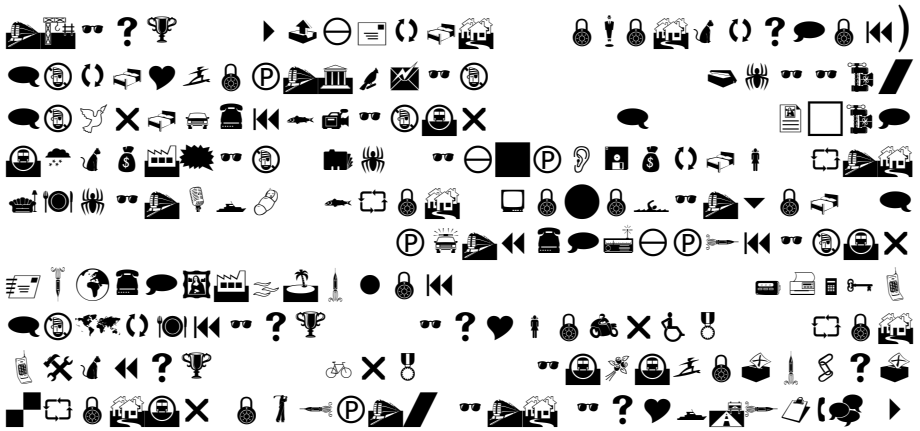

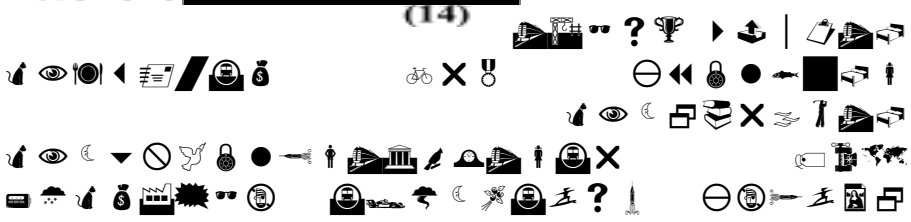

[سورة الأعراف:128-129]. بل هذا ديدن جميع الأقوام مع الأنبياء والمرسلين، كما جاء في قوله تعالى:

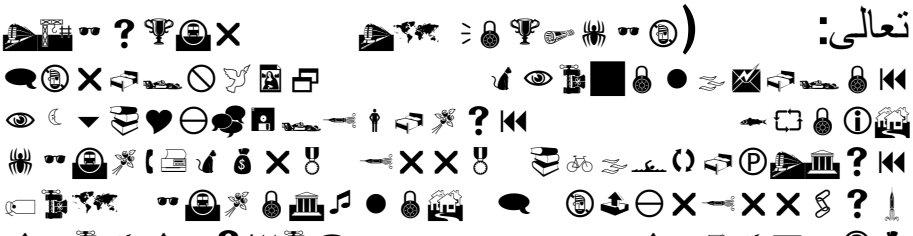

[سورة إبراهيم:13-14].

وهذا يحصل على مستويات عدة، والداعية الحصيف الذي لا يضيق بهذا التضييق، بل يدرسه، فإن سدّ له باب ذهب إلى الباب الآخر، فالدين دين الله تعالى، لن تغلق الأبواب كلها، وعليه فلا يصارع لفتح الباب دون أن يحاول بالأبواب الأخرى، فيضيع جهده هذا هباءً منثورًا، فليتنبه إلى هذا الأمر العظيم، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فكلما هدد من بابٍ وسدّ عليه ذهب إلى الباب الآخر، حتى استقر في المدينة وتوسعت الدعوة ونصره الله تعالى.

* * *

هذه أمثلة لبعض العوائق والعقبات التي تمر على الداعية أو تعترضه، وكما سبق أن بعضها من الخارج، وبعضها من الداعية نفسه لقصوره وعجزه لبعض متطلبات الدعوة. فعلى هذا يلزم الدعاة من الوعي لهذه العوائق، والحذر كل الحذر من التهاون بها، والتكاسل عنها, وبذل الجهد في الوقاية منها وعلاجها عند الوقوع فيها. وبالله التوفيق.

*** * ***

المبحث التاسع:

علاج هذه العوائق والعقبات

فقد ذكرنا فيما سبق بعض العوائق والعقبات في طريق الدعوة، وأشير هنا لبعض الطرق النافعة، والوسائل الناجحة لعلاجها؛ ليستعين بها الداعية ـ بعد توفيق الله تعالى ـ لتجاوز هذه العقبات، منها:

● **الارتباط بالله تعالى دائماً وأبداً:** الارتباط بالله تعالى زاد يتقوى به الداعية في سيرته الدعوية وفي تجاوز العراقيل والعقبات في سبيل الدعوة، فقد أمر تعالى بالاستعانة بالصلاة في المصائب والبليات في قوله تعالى:

[سورة البقرة:153]. وفي قوله تعالى:

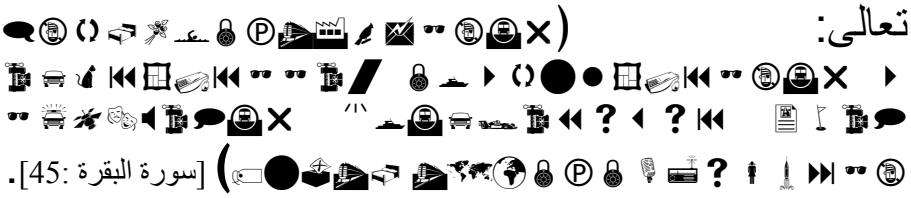

[سورة البقرة :45].

وأمر نبيه بقيام الليل لتحمل أعباء النبوة وليستعين به على تجاوز العقبات في سبيل الدعوة، قال تعالى:

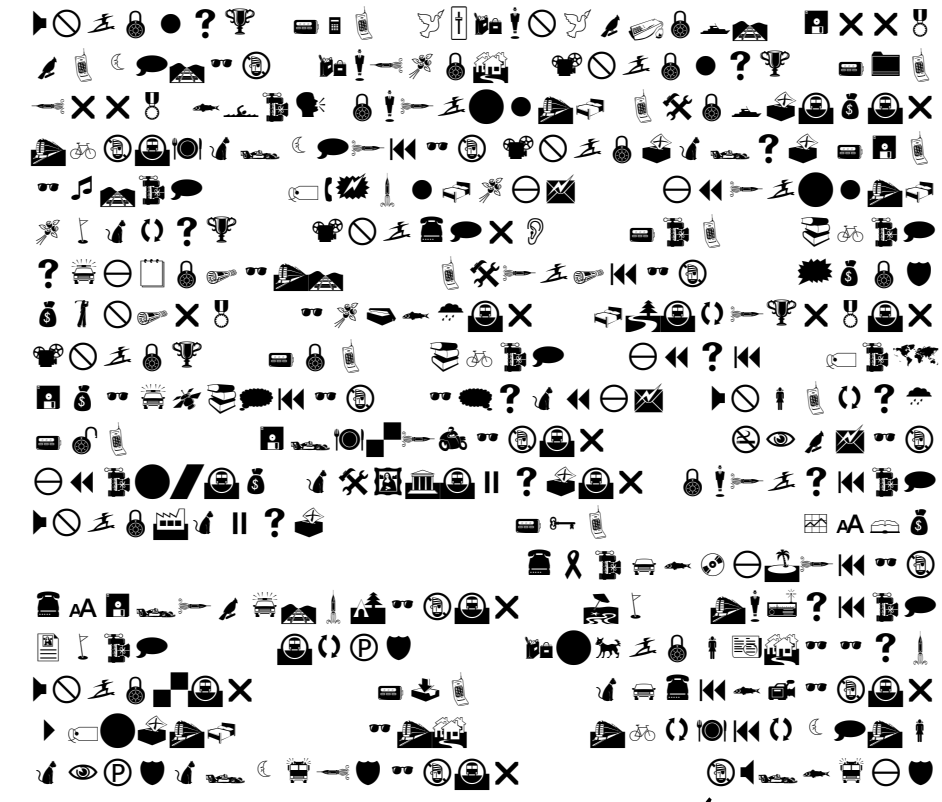

[سورة المزمل:1-10].

قال صاحب الأضواء: «ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه من القول، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة»[147].

وكان النبي غ يستعين بالعبادات، وبالأخص الصلاة, في مسيرته الدعوية؛ فنراه كلما حدث له حادث بادر إلى الصلاة، كما جاء في الحديث: عَن حُذَيْفَةَ قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ غ إِذَا حَزَبَهُ**

[147]() تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم، 8/613.

أَمْرٌ صَلَّى[148].

وكان النبي غ يجد اللذة والراحة في الصلاة، فعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ:- قَالَ مِسْعَرٌ: أُرَاهُ مِن خُزَاعَةَ- لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ, فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله غ يَقُولُ: **يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا** [149].

قال صاحب عون المعبود في شرح الحديث: قَالَ فِي النِّهَايَة: أَيْ نَسْتَرِيح بِأَدَائِهَا مِن شُغْل الْقَلْب بِهَا, وَقِيلَ كَانَ اِشْتِغَاله بِالصَّلَاةِ رَاحَة لَهُ فَإِنَّهُ كَانَ يَعُدّ غَيْرهَا مِن الْأَعْمَال الدُّنْيَوِيَّة تَعَبًا فَكَانَ يَسْتَرِيح بِالصَّلَاةِ لِمَا فِيهَا مِن مُنَاجَاة الله تَعَالَى, وَلِهَذَا قَالَ «**وَجُعِلَتْ قُرَّة عَيْنِي فِي الصَّلَاة** » وَمَا أَقْرَب الرَّاحَة مِن قُرَّة الْعَيْن[150].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: **حُبِّبَ إِلَيَّ مِن الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ, وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ** [151].

وكان النبي غ يصلى ويطيل القيام حتى تورمت قدماه، ومع ذلك لا يحس التعب بل يجد اللذة والراحة، وإذا نبهه على ذلك أحد كان يقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ فعَنْ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ ا يَقُولُ: **إِنْ كَانَ النَّبِيُّ غ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ, فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا**

---

[148]() سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب: وقت قيام النبي غ من الليل، برقم: (1319).
[149]() سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: في صلاة العتمة، برقم: (4985). ومسند أحمد (5/364).
[150]() عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي، 13/330.
[151]() سنن النسائي، كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، برقم: (3391). ومسند أحمد (3/128).

شَكُورًا؟(152).

ولعظمة هذا الأمر ـ الاستعانة بالصلاة ـ كان يحث أهله على القيام بها، فقد جاء في الحديث أنه استيقظ ليلةً من نومه وأمر بإيقاظ زوجاته للعبادة لنزول الفتن، فعن هِنْد بِنْت الحَارِثِ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ل قَالَتْ: **اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ غ فَقَالَ: سُبْحَانَ الله مَاذَا أُنْزِلَ مِن الخَزَائِنِ! وَمَاذَا أُنْزِلَ مِن الْفِتَنِ! مَن يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجَرِ؟ يُرِيدُ بِهِ أَزْوَاجَهُ حَتَّى يُصَلِّينَ. رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ** (153).

قال الحافظ في الفتح: وَفِي الْحَدِيث اِسْتِحْبَاب الْإِسْرَاع إِلَى الصَّلَاة عِنْد خَشْيَة الشَّرّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ([illegible])

وَكَانَ غ إِذَا حَزَبَهُ أَمْر فَزِعَ إِلَى الصَّلَاة, وَأَمَرَ مَن رَأَى فِي مَنَامه مَا يَكْرَه أَنْ يُصَلِّيَ (154).

فعلى الداعية أن يضع لنفسه برنامجاً عباديًا مستمرًا من الصلاة، وتلاوة القرآن، والأذكار، والصلاة على النبي غ، وغيرها؛ لتكون معينة له في هذه المسيرة المباركة.

- **الدعاء المستمر بالثبات, والصبر, والتحمل, والإخلاص، والعمل بالحق:**

152() صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: قيام النبي غ الليل، برقم: (1130).
153() صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: التكبير والتسبيح عند التعجب، برقم: (6218).

154() فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1/211. والآية من سورة البقرة: 45.

إن للدعاء فوائد عظيمة، وثمرات جليلة، فهو نعمة عظيمة، ومنحة كبرى، امتن الله به على عباده، فشأنه عظيم، ومكانته عالية في الإسلام، فكل الناس بأمسّ الحاجة إليه، وبالأخص الدعاة لكي يستعينوا به في مسيرتهم الدعوية, وإن الله يحب من العبد أن يسأله، ويغضب على من لم يسأله، كما جاء في الحديث: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: **مَن لَمْ يَسْأَل الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ** (155).

يقول الشاعر:

لا تســـــألن بُنَيّ آدم حاجةً وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَيّ آدم حين يسأل يغضب

وثمرة الدعاء مضمونة إذا خلا من الموانع؛ فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ غ أَنَّهُ قَالَ: **لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ, قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي, فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ** (156).

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله غ يَقُولُ: **مَا مِن أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ الله مَا سَأَلَ, أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِن السُّوءِ مِثْلَهُ, مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ** (157).

155() جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب: منه، برقم: (3373).

156() صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: بيان أنه يستجاب للداعي مالم يعجل، برقم: (2735).

157() جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، برقم: (3381).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: **مَا مِن دَاعٍ يَدْعُو إِلَّا كَانَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ, وَإِمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ, وَإِمَّا أَنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ** ([158]).

قال ابن حجر: «كل داع يستجاب له لكن تتنوع الإجابة؛ فتارةً تقع بعين ما دعا به، وتارةً بعوضه» ([159]).

فعلى الداعي أن يستعين بالدعاء لأنه سبب الثبات والنصر على العدو، فلما برز طالوت وجنوده لجالوت وجنوده دعوا الله بقولهم: ([illegible] [سورة البقرة:250]. فقبل الله دعاءهم ونصرهم على عدوهم كما جاء في الآية التي بعدها: ([illegible] [سورة البقرة:251].

يقول الإمام الشافعي:

أتهـــــزأ بـالدعـاء وتزدريه ... ومـا تدري ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطي ولكن ... لـه أمـــــد وللأمد انقضـاء

---

[158]() موطأ مالك، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الدعاء، برقم: (504).

[159]() فتح الباري شرح صحيح البخاري، 11/95.

● **المنهجية في الدعوة**

والرؤية السليمة حتى لا يظن الداعي أنه وقف أمام جدار لا ينهد: إن الدعوة إلى الله من أشرف الأعمال، فعلى الداعية أن يدعو الناس على بينة من الأمر، كما جاء في قوله تعالى: (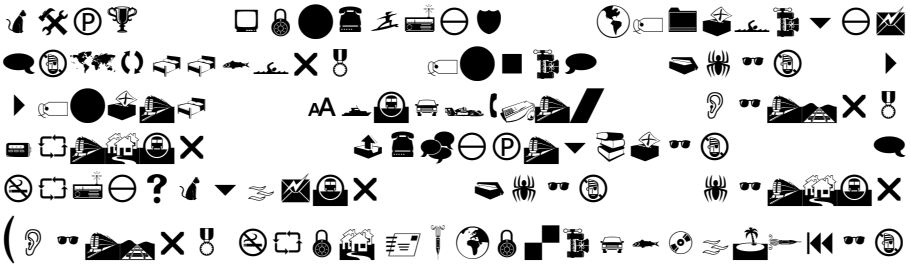 [سورة يوسف:108]. **فالتخطيط** السليم والمنهجية في الدعوة من أسباب النجاح في الدعوة ـ كما سبق في مقومات الدعوة ـ لأن الدين دين الله تعالى، لن تغلق الأبواب كلها، بل إن سد له باب انفتح له باب آخر، ومن ثم فلا ييأس من العوائق، بل يحسبها من مقدمات النجاح.

● **صحبة العلماء الربانيين والدعاة الصادقين:** من أسباب علاج العوائق ا تخاذ الصحبة الصالحة والرفقة الطيبة، بحيث يشدون أزره، ويقوونه على تجاوز العقبات، وإن ا تخاذ الصحبة الطيبة من الوسائل المعينة على التحمس للدعوة، وتجاوز العقبات، لأن المرء ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه الصالحين، والرجل الصالح لا ترى منه إلا خيراً؛ ففي الحديث عَن أَبِي مُوسَى ا عَن النَّبِيِّ غ قَالَ: **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً,**

وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً[160].
وهم القوم لا يشقى جليسهم، فعلى الداعية أن يختار صحبتهم لكي يتقوى بهم في مسيرته الدعوية.

● **العلم والمواصلة فيه:** إن طلب العلم والمواصلة فيه من أسباب العون لتجاوز العقبات وتذليل الصعاب، لأن العلم نور، يهدي الإنسان إلي ما ينفعه في دنياه وآخرته، ويسهل الصعاب، ويفتح المعضلات, وقد ذكرناه بشيء من التفصيل في الوقفة الخامسة، ويؤكد هنا على صحبة العلماء الربانيين، والتلقي عنهم واستشارتهم، فهم المصدر الآمن ـ بعد توفيق الله تعالى ـ والذين وجهنا الله تعالى إليه في قوله: ( ) [سورة النحل: 43] وإن ضلال مَن ضلَّ غُلوّاً أو انحرافاً كان بسبب البُعد عن هؤلاء العلماء الأعلام والتلقي عن المصادر المجهولة، أو الصغار ونحوهم.

● **التوازن بين الدعوة والمتطلبات الأخرى:**

من القواعد الشرعية أن جميع أعمال العبد تصير عبادةً بنية التعبد لله عز وجل، ولذلك علّمنا الرسول بأن نهتمّ بجميع الأمور التي تحتاجها الأمة، وندعو الله العافية والحسنة في هذه الدنيا وفي الآخرة، في الحديث عَن أَنَسٍ قَالَ: **كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ غ: اللهمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً, وَفِي الْآخِرَةِ**

---

[160]() صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم: (5534).

حَسَنَةً, وَقِنَا عَذَابَ النَّار[161].

يقول ابن حجر: « قَالَ عِيَاض: إِنَّمَا كَانَ يُكْثِر الدُّعَاء بِهَذِهِ الْآيَة لِجَمْعِهَا مَعَانِي الدُّعَاء كُلّه مِن أَمْر الدُّنْيَا وَالْآخِرَة, قَالَ: وَالْحَسَنَة عِنْدهمْ هَاهُنَا النِّعْمَة, فَسَأَلَ نُعَيْم الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَالْوِقَايَة مِن الْعَذَاب, نَسْأَل الله تَعَالَى أَنْ يَمُنّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ وَدَوَامه»[162].

وَقَالَ الشَّيْخ عِمَاد الدِّين اِبْن كَثِير: «فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الْحَسَنَة فِي الدُّنْيَا تَشْمَل كُلّ مَطْلُوب دُنْيَوِيّ؛ مِن عَافِيَة, وَدَار رَحْبَة, وَزَوْجَة حَسَنَة, وَرِزْق وَاسِع, وَعِلْم نَافِع, وَعَمَل صَالِح, وَمَرْكَب هَنِيء, وَثَنَاء جَمِيل إِلَى غَيْر ذَلِكَ, مِمَّا شَمِلَتْهُ عِبَارَات المفسرين، ولا منافاة بينها، فَإِنَّهَا كُلّهَا مُنْدَرِجَة فِي الْحَسَنَة فِي الدُّنْيَا, وَأَمَّا الْحَسَنَة فِي الْآخِرَة: فَأَعْلَاهَا دُخُول الْجَنَّة, وَتَوَابِعه مِن الْأَمْن مِن الْفَزَع الْأَكْبَر فِي الْعَرَصَات, وَتَيْسِير الْحِسَاب, وَغَيْر ذَلِكَ مِن أُمُور الْآخِرَة, وَأَمَّا الْوِقَايَة مِن عَذَاب النَّار فَهُوَ يَقْتَضِي تَيْسِير أَسْبَابه فِي الدُّنْيَا مِن اِجْتِنَاب الْمَحَارِم والآثام وَتَرْك الشُّبُهَات والحرام»[163].

كما جمع النبي غ مسألة صلاح الدين والدنيا في أدعية

---

[161]() صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب: قول النبي غ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، برقم: (6389).

[162]() فتح الباري شرح صحيح البخاري ،لابن حجر العسقلاني، 11/192.

[163]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 1/355-356.

كثيرة، منها هذا الدعاء المروي عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله غ يَقُولُ: **اللهمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي, وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي, وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي, وَاجْعَل الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ, وَاجْعَل المَوْتَ رَاحَةً لِي مِن كُلِّ شَرٍّ**[164].

فعلى الداعي أن يوجد توازناً بين الدعوة وأمور الدنيا، فإن أهمل الدعوة خسر الآخرة، وإن أهمل الدنيا فلعله يبتلى بفقر مدقع فلا يصبر، والأمر بينهما.

● **الاتصال بالقرآن:** قراءةً وحفظاً وتعلُّماً ونشراً وتفسيراً، فالقرآن العظيم كتاب الله تعالى أنزله بواسطة جبريل على محمد غ، قال تعالى: ([illegible]) [سورة الشعراء:192-195].

وقد بيَّن الله تعالى أن القرآن شفاء من جميع الأمراض البدنية والروحية، كما قال تعالى: ([illegible]

[164]() صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم: (2720).

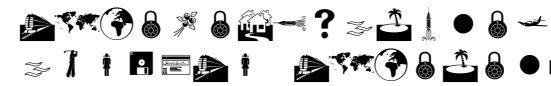
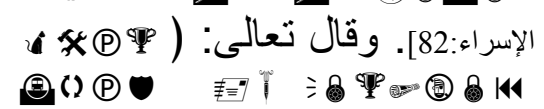
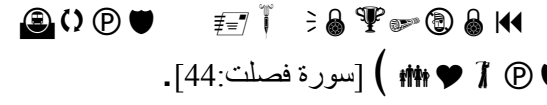
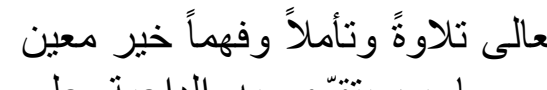
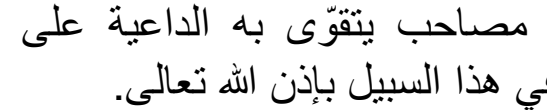

فالاتصال بكتاب الله تعالى تلاوةً وتأملاً وفهماً خير معين في سبيل الدعوة، وخير مصاحب يتقوّى به الداعية على تجاوز العقبات والعوائق في هذا السبيل بإذن الله تعالى.

ولا شك أنه من جملة الأعمال الصالحة، لكن يذكر بخصوصه لأهميته.

* * *

وبعد: فهذه جملة من نقاط العلاج، ويجمعها العلاقة بالله تعالى من جميع الوجوه، وبدايتها الفهم السليم للدعوة والعمل المتوازن، ومن يكن مع الله فالله معه.

* * *

المبحث العاشر:

فوائد وثمرات الدعوة إلى الله على الداعي والمجتمع

إن الدعوة إلى الله لها فضائل جمة وآثار حميدة، تعود على الفرد والمجتمع على حد سواء، أذكر بعضًا منها على سبيل الإيجاز:

- **إعلاء كلمة الله في الأرض**: فبالدعوة إلى الله تعلو كلمة

الله على الأرض، وترتفع راية الإسلام خفاقة، لأنه لا بد أن ينتصر هذا الدين، كما قال تعالى: ([سورة الصف:8-9].

● **تطهير المجتمع من المنكرات والسيئات،** فالطريق الأمثل لهذا التطهير الدعوة إلى التحلي بالفضائل والتخلي من الرذائل. فينشر العلم الصحيح، ويقمع البدع والمنكرات، وتحيى السنن. فيسلم المجتمع من الموبقات.

● **اجتماع الكلمة** التي ينتج عنها حصول القوة للمسلمين والانتصار على عدوهم، ويصدق عليهم قول الله تعالى: (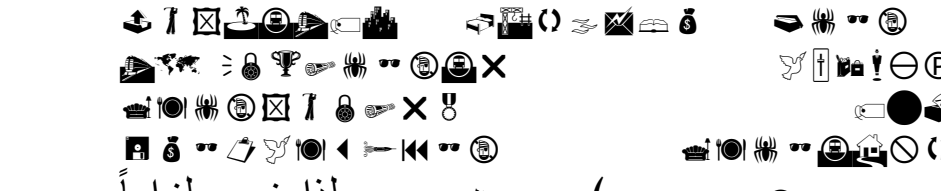 [سورة الفتح: 29], لذا نرى لزاماً على المسلمين أن يستشعر كل فرد منهم مسئوليته تجاه مجتمعه، ويبذل ما فيه قصارى جهده لائتلاف الكلمة, ورأب الصدع، والبعد عن كل ما يشتت كلمة المسلمين، ويمزق

جمعهم، فهذا من أعظم خطوات البناء في تقوية أساس المجتمع.

● **مجتمع الدعوة يكون أفراده من أحسن الناس خلقًا،** وأكثرهم حلمًا, وأوسعهم سماحةً وتواضعًا، وأحرصهم على مكارم الأخلاق, ومحاسن الأعمال بسبب آثار الدعوة.

● **شيوع التراحم والتناصر في المجتمع:** إن المجتمع الذي يقوم أبناؤه بمهمة الدعوة يكون من أسعد المجتمعات, يقوى فيهم التناصر والتعاون على الخير, ويكونون يداً واحدةً في الشدائد والمحن، ويصدق عليهم قول النبي غ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسهر والحمى»**[165]. وترتفع الأحقاد والضغائن، وتختفي الشحناء والبغضاء، ويندحر الشيطان وأعوانه من هذا المجتمع.

● **الأجر والمثوبة التي يحصل عليهما الداعي طوال حياته،** فمن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة. وكل من اهتدى بسببه يكون أجراً للداعي، كما جاء في الحديث: **«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَن عَمِلَ بِهَا, وَلَا يَنْقُصُ مِن أُجُورِهِمْ شَيْءٌ, وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَن عَمِلَ بِهَا, وَلَا يَنْقُصُ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**[166]. وكما قال النبي غ لعلي ا يوم خيبر: **«فَوَ الله لَأَنْ**

---

[165]() صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، برقم: (2586).

[166]() صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة (1017).

يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[167].

● **والدعوة من الصدقة الجارية:** كما جاء في الحديث: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا أَنَّ رَسُولَ اللهِ غ قَالَ: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ, وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ, وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»**. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[168]. فالدعوة ثمرة العلم الذي يستمر لصاحبه بعد مماته.

● **الحياة الطيبة للدعاة:** فعيشون عيشة طيبة, فلهم الأمن والأمان في هذا المجال، فيكونون مطمئني النفس والبال، مرتاحي الضمير والخاطر، ليسوا قلقين من الحياة ولا مكتئبين منها, ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [سورة النحل:97]. وطلب العلم والدعوة إلى الله من أجل الأعمال.

● **إبراء الذمة عن الأمة بمسؤولية التبليغ** امتثالًا لقول النبي غ: **«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»**[169]. وقوله سبحانه:

---

[167]() صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ا، برقم: (2404).

[168]() سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب: في الوقف، برقم (1376)

[169]() صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم

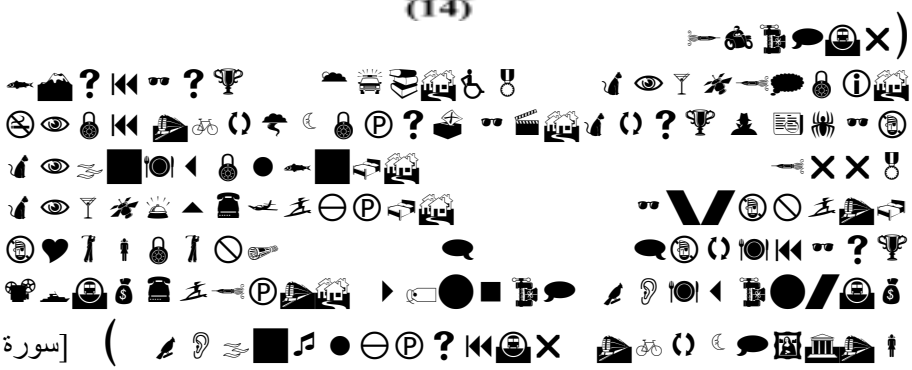

الأعراف: 164].

● **القيام بمسؤولية طلب العلم على الأمة ونشرها للناس،** امتثالًا لقوله تعالى:

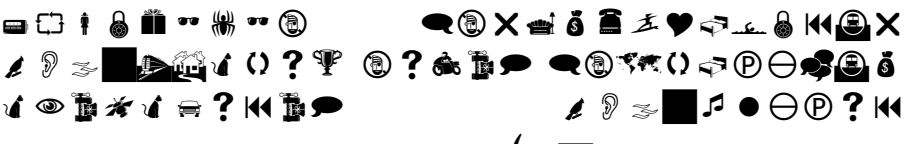

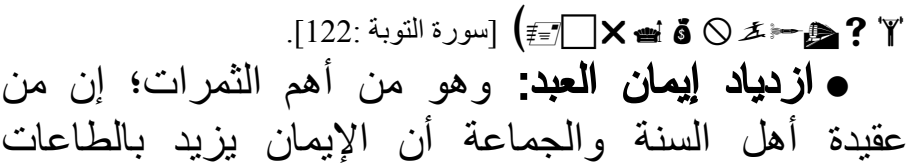

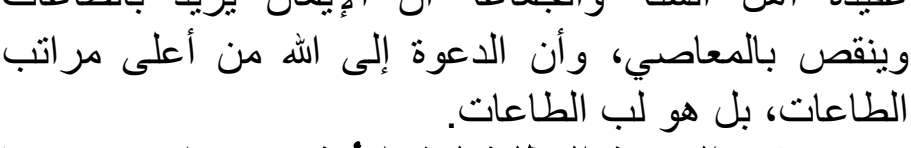

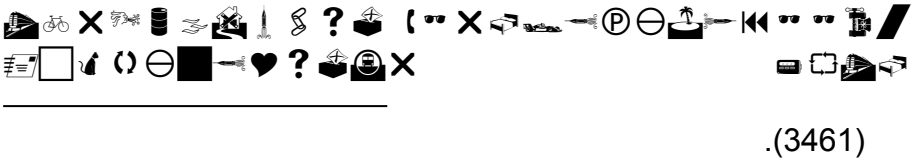

[سورة التوبة :122].

● **ازدياد إيمان العبد:** وهو من أهم الثمرات؛ إن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأن الدعوة إلى الله من أعلى مراتب الطاعات، بل هو لب الطاعات.

● **تمكن الخيرية المطلقة لهذه الأمة،** كما قال سبحانه:

(3461).

﴿ ﴾ [سورة آل عمران :110] وهذه الخيرية عامة في الدنيا وفي الآخرة، تنبني عليها السعادة في الدارين؛ من سعة الرزق والأمن والطمأنينة والنصرة على الأعداء وغيرها، وكذلك في الآخرة بدخول الجنان ورضا الرحمن.

* * *

وبعد: فهذه بعض الآثار الحميدة والنتائج الطيبة للدعوة إلى الله، نسأل الله تبارك وتعالى أن ينظمنا في سلك الدعاة المصلحين، والذين يرثون ميراث محمد غ. آمين.

* * *

الخاتمـة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على النبي الخاتم، المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

فقد قضينا أوقاتًا طيبةً، وساعاتٍ ممتعة، عامرة بذكر الله عزوجل, مع هذا الحديث العظيم الذي يحتوي على المعاني الطيبة، والمفاهيم العالية، ومن أهم ما خرجنا به من القضايا العظيمة التي أشار إليها الحديث:

* أن النبي غ بعث رحمةً للعالمين كافةً.

* وأن النبي غ كان حريصًا على المؤمنين رؤوفاً رحيماً بهم.

* وأن الاستفادة من شريعته على قدر صلاح الإنسان, وطيب أصله, وشرف أرومته.

* وأن الناس من حيث استفادتهم على ثلاثة أنواع:

● **النَّوْع الْأَوَّل مِن النَّاس**؛ من يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه, ويعمل به, ويعلّمه غيره, فينتفع وينفع, وهؤلاء أعلا الناس منزلةً في الدنيا والآخرة.

● **النَّوْعِ الثَّانِي مِن النَّاس**؛ لهم قلوب حافظة, لكِن لَيست لهم أفهام ثَاقبة, ولا رسوخ لهم فِي العقل يستنبطون به المعاني والأَحْكام, ولَيس عندهم اجْتهادٌ فِي الطَّاعة والْعمل به, فهم يحْفظونه حتَّى يأتي طَالِبٌ محْتاج مُتَعَطِّشٌ لِما عندهم من الْعلم, أَهل للنَّفْع والانتفاع, فيأْخذه منهم, فينتفع به, فهؤلاء نفعوا بِما بلغهم.

● **النَّوْعُ الثَّالِثُ مِن النَّاس**؛ ليست لهم قلوب حافظة, ولا أفهام واعية, فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به, ولا يحفظونه لنفع غيرهم.

* وأن الأمثال لها تأثير بالغ على الإنسان, ويستفاد منها في أمور كثيرة: في التذكير، والنصح, والوعظ, والحث, والترغيب, والترهيب، والتربية، والتعليم، والزجر, والاعتبار, والتقرير, وتقريب المراد للعقل, وتصويره بصورة المحسوس, وغيرها.

* كما تعرفنا من خلال هذه العجالة السريعة على فَضْل الْعِلْم وَالتَّعْلِيم, وَشِدَّة الْحَثّ عَلَيْهِمَا, وبيان بعض الآداب والصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم, وَذَمّ الْإِعْرَاض عَن الْعِلْم.

* وقبل الختام تحدثنا بشيء من التفصيل عن موضوع الدعوة وأهدافها، وفضائلها، ومقوماتها، وسمات الداعية، والوسائل والأساليب للدعوة، وعوائق وعقبات في طريق الدعوة، ثم الخاتمة.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلها من المدخرات في الحياة وبعد الممات, حقق الله الآمال وسدد الخطى، وعلمنا ما ينفعنا، ونفعنا بما علمنا إنه عليم حكيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبـــــه
فالح بن محمد بن فالح الصغيِّر
ص. ب. 41961 الرياض -11531
البريد الإلكتروني:.com falehmalsgair@yahoo

الفهـرس

المقدمة 5
نص الحديث 9
الوقفة الأولـــــى :
تخريج الحديث 11
الوقفة الثانيـــــة: مع كلمات الحديث 12
الوقفة الثالثـــــة: نظرة في عموم الحديث 15
الوقفة الرابعـــــة :
ضرب الأمثلة 19
الوقفة الخامســة: في طلب العلم والتفقه فيه 28
الوقفة السادسة : في الدعوة إلى الله 36
المبحـــث الأول :
مفهوم الدعوة 37
المبحث الثانـــي :
موضوع الدعوة 40
المبحث الثالـــث :
أهداف الدعوة 43
المبحث الرابـــع :
فضائل الدعوة 52
المبحث الخامس :
مقومات الدعوة 57
المبحث السـادس :
سمات الداعية 65

المبحث السابـــع : وسائل الدعوة وأساليبها 79
أولاً: وسائل التبليغ 79
ثانياً: أساليب الدعوة 88
المبحث الثامـــن: عوائق وعقبات في طريق الدعوة 101
أولاً: الابتلاء سنة دعوية 101
ثانياً: بعض العوائق والعقبات في طريق الدعوة 110
المبحث التاسـع: علاج هذه العوائق والعقبات 127
المبحث العاشـر : بعض فوائد وثمرات الدعوة إلى الله على الداعي والمجتمع 136
الخاتمة 140
الفهرس 143

* * *